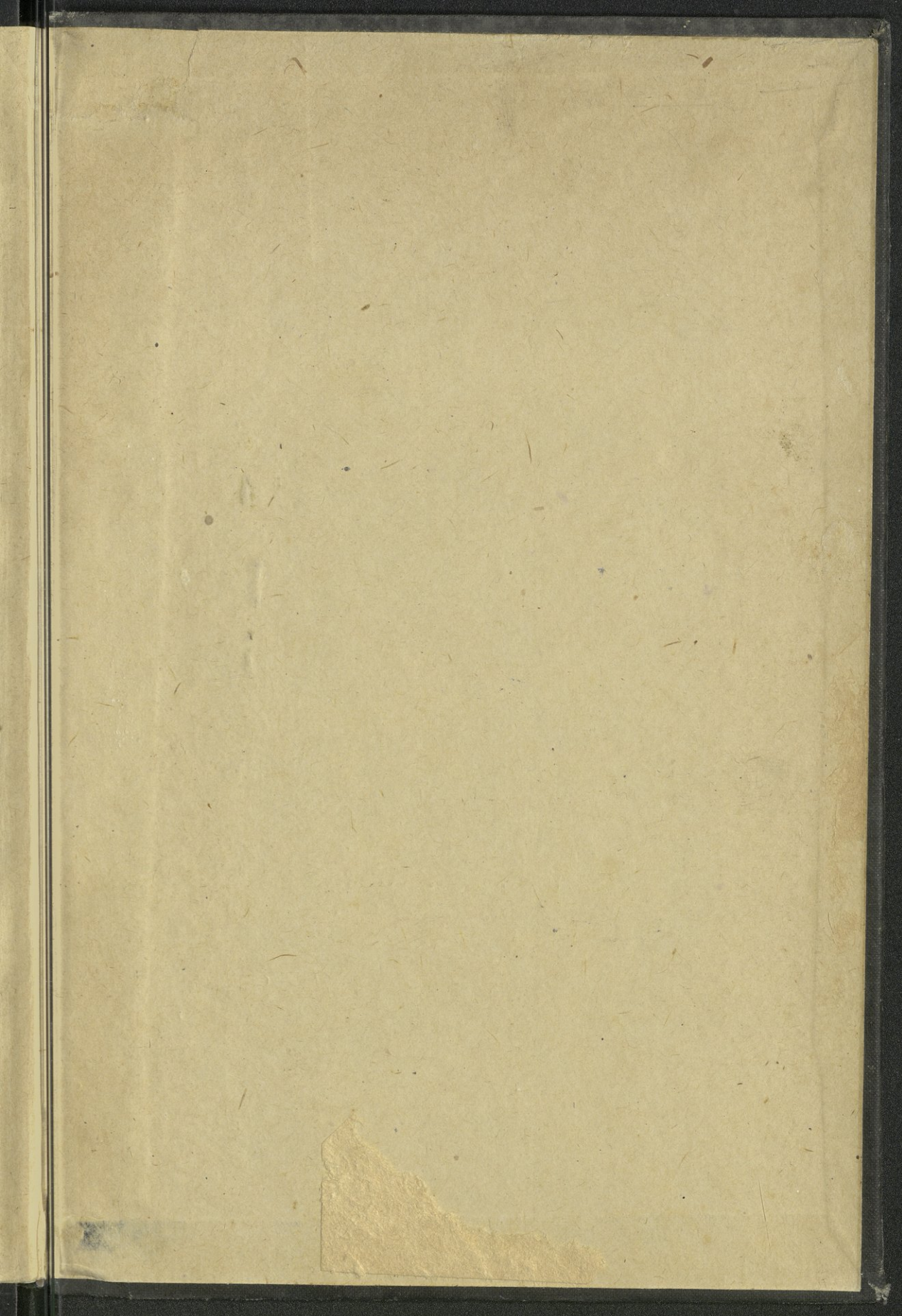










065 [redacted]

جمعه 6 محمد لطفي .

بين الاسد الافريقي والنمر الايطالي .

963.056

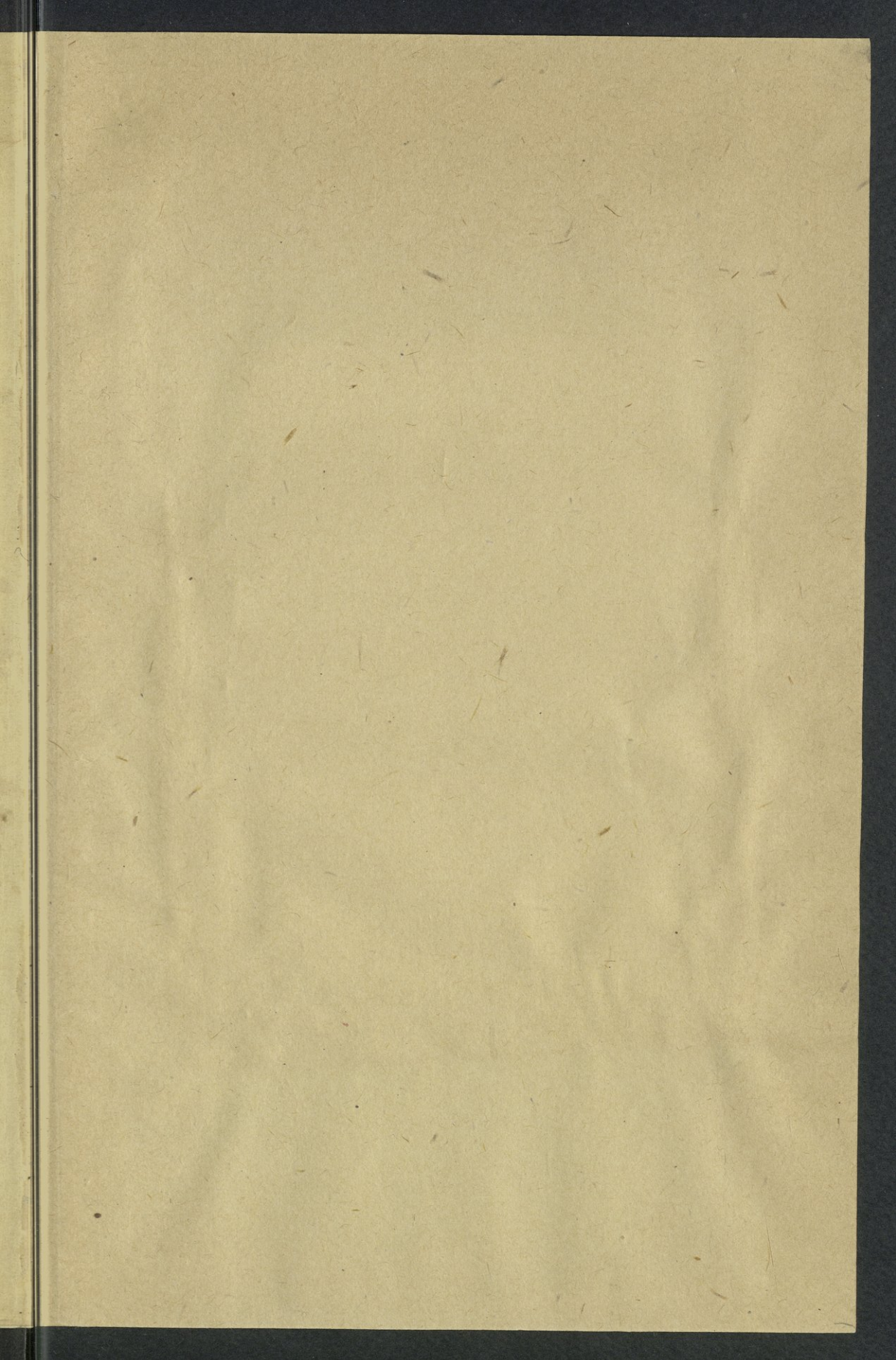
J 94hA

~~Feb 07~~

JAFET LIB  
~~OCT 1977~~

JAFET LIB  
~~FEB 1978~~







MM  
70



963.056  
J94HA

محمد لطفي صبيح

حروب الأرض وسلامها

بين الأسد الأفريقي  
والنمر الإيطالي

Cat. Jan. 1947

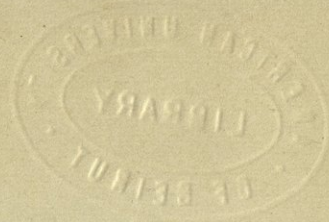
بحث تحليلي تاريخي ونفساني واجتماعي

في المشكلة الحبشية الإيطالية

67227

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر







# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

بلاد اثيوبيا هي الوطن الوحيد المستقل في القارة السوداء ، وما وصفت  
افريقية بالسواد نسبة إلى لون أرضها أو أهلها ، ولكن لكثرة مجاهلها وخوافيها  
وإلا فانه لا شمس تشرق في الآفاق ، ولا ضوء يتلألأ في الأرجاء ، ولا صحو  
يملاً الأجواء ، مثل شروق شمسها وتلاؤ ضوءها ، وصفاء سمائها . ولا خضرة  
أزهى وأزهر ، ولا خصوبة أغنى وأثمر من التي تشاهد في غابها وحراجها ،  
وفي حقولها ومزارعها ، ولا غنى في ظاهر الأرض وباطنها كالغنى الذي أنعم الله  
به على أهل تلك القارة السعيدة من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها  
فعدت من أغنى بقاع الأرض معدناً وزرعاً وضرعاً<sup>(١)</sup> .

وقد حبتها الطبيعة بمنابع أربعة من أكبر أنهار الأرض وأغزرها ماءً  
وأجلبها للخير . أعظمها نهر النيل ، ذى الوادى الخصيب الذى نعمه وفتح فى  
خيراته ونفاخر به .

وفى موضع القلب من هذه القارة ، تقع اثيوبيا أو الحبشة ، وما الحبشة  
سوى هضبة جبلية شامخة الارتفاع تنحدر كالدرج نحو سهول السودان  
وبحر القلزم ، ومن صميم فؤادها ينبع النيل الأزرق ، وعلى سفوح جبالها تنمو  
أشجار الفواكه الجميلة ، وشجيرات البن الخضراء . وجوف أرضها حاشد بالمعادن

(١) ثبت للباحثين أن حول بحيرة تانا توجد مناجم ذهب وبلاتين وماس وياقوت وزمرد



النافعة ، وأهلها قوم ذوو بأس شديد يميلون للحرب وبيذلون أرواحهم في سبيل الدفاع عن وطنهم ، وقد حافظوا على حريتهم واستقلالهم منذ نشأتهم إلى يومنا هذا ولم يناصرهم العداء في العصر الجديد سوى المصريين والطلليان فهزموهم وانسحبوا كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من أوربا ووقوع ساحلها الشمالى موازياً لساحل أوربا الجنوبي على مسافة ألف ميل ، وذلك لأن رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا والبرتغال يشحن بأوجههن عنها ، ويتزاحمن على الاستعمار فى أطراف أميركا والهند السحيقة وانما قصدن إلى افريقية للاتجار بالرقيق فيها .

أما الآن فقد أصبح معظم القارة معروفاً بفضل أهل السياحة من قدماء المصريين والعرب والافرنج الذين جاسوها طويلاً وعرضاً . فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً فيها سوى بقع صغيرة متفرقة لا بد أن تكشف قريباً .

ومما يزيدنا أسفاً وألماً وحسرة على قارتنا أن دول أوربا ضمت كل شبر منها إلى أملاكهن بالطرق السياسية ، وبذل الأموال والهدايا لحكام البلاد وزعمائها والخونة من أهاليها والالتجاء إلى بعض الحيل التى أملاها دهاء رواد الاستعمار ، وانطلت على أذهان البسطاء ، وقد سميت وسائل الاغتصاب التى انطوت عليها مكاييد هؤلاء المغيرين طرقاً سلمية ، لأنها لم تكلف المغيرين لا معارك ولا مواقع ما عدا المغرب الأقصى والحبشة على حين أن استعمار أميركا والهند كلفهن ألوف الرجال وبدرات الأموال<sup>(١)</sup>

وقد شرع المصريون الأقدمون فى الأسفار من عهد الدولة السادسة لكشف افريقيا وكان أمراء جزيرة الفنتين يتعدون الحدود الجنوبية ومهدوا الطريق بين

(١) سمي هذا الاستعمار " dépeçement " وسميت الوسائل المذكورة poitlique d'infiltration.



أصوان ورأس بناس ( على البحر الأحمر ) وكانت السفن المصرية تتمخر البحر الأحمر حينئذ وكانوا يسمون سكان البلاد إلى جنوبي أسوان باسم « الرماة » والذين إلى جنوبهم باسم المتلعثمين أو الأعاجم لأنهم لم يكونوا يتكلمون اللغة المصرية وقالوا أن وراء أرض المتلعثمين الأرض المباركة التي تفيض الخيرات ووراءها البحر الجنوبي الذي يجري منه النيل وتطفو عليه الجزر . وانتهت الرحلات المصرية القديمة في سبيل اكتشاف أفريقيا في أيام الدولة السادسة ومنها سياحة أردودو وسياحة خركوف وحدثت كل هذه الأمور منذ أكثر من خمسة آلاف سنة حينما كان أهالي أوربا يأوون إلى الكهوف والبحيرات ويسترون أبدانهم بجلود الثعالب والأنعام .

وذكر بلينيوس المؤرخ الروماني سنة ٧٠ للمسيح أن التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك إفريقية الشرقية وجزرها وكان لهم عليها شيء من السلطة وكانوا يتجرون مع أهلها بالأفاويه والطيوب .

ولما ظهر الإسلام رحل كثيرون من العرب في القرنين الأولين للهجرة إلى سواحل إفريقية الشرقية والشالية فملكوا تونس وطرابلس الغرب واجتاز كثيرون منهم صحارى القيروان وليبية وتوغلوا في داخلية البلاد وبعضهم ذهبوا إلى السودان من طريق مصر وقنا وكانت القصير مرفأ لمراكبهم يجتازون منها مضيق باب المندب في البحر الأحمر ويرتادون السواحل الشرقية حتى وصل بعضهم في بدء تاريخ الهجرة إلى سواحل جزيرة مدغشقر جنوباً وأسسوا في شمالها مملكة عربية لم تزال آثارها وقلاعها وبقايا شعوبها موجودة حتى الآن<sup>(١)</sup>.

(١) ص ٩٢ أعلام المقتطف ج ٢ . كتب عنها رايدر هجارد رواية « هي » أو « عائشة » .



واستدل العلماء أن العرب من بدء الهجرة عرفوا أكثر بلاد إفريقية ووصلوا إلى منابع النيل وتوغلوا في بحيراتها وغاباتها ومجاهلها وكانت حتى أواسط القرن الماضي يجهلها الإفرنج ووطئت أقدام الفاتحين من العرب تلك البلاد السحيقة قبل أن تطأها أقدام السياح المتأخرين وكانت لهم تجارة واسعة في إفريقية كلها وملكوا الصومال وجوبع وممبسة وزنجبار وموزمبيق وكومورو وانتشرت عندهم النخاسة كما كانت منتشرة عند اليونان والرومان والأوربيين والأمريكان .

ولما ضعفت شوكة العرب ونبذوا العلوم والمعارف وتركوا أسباب التجارة واشتد ساعد البرتغال جهزوا السفن والرجال في أواخر القرن الرابع عشر وأرسلوها إلى سواحل إفريقية الغربية والجنوبية والشرقية وطردها العرب منها وتربط المسلمين بالحبشة أمور شتى أولها مصالح التجارة قال صفوان بن أمية « وإنما حياتنا بمكة على التجارة في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء » .

ولما قبض الله خديجة بنت خويلد تزوج الرسول من سودة بنت زمعة أرملة السكران بن عمرو بن عبد شمس ولم يرو راو أن سودة كانت من الجمال أو من الثروة أو من المكان بما يجعل لمطمع من مطامع الدنيا أثراً في زواج محمد منها ، إنما كانت سودة زوجاً لرجل من السابقين إلى الاسلام الذين عذبوا وهاجروا إلى الحبشة وهاجرت معه زوجته وعانت معه ما عانت فتزوجها محمد ليعولها وليرتفع بها إلى مقام أمهات المؤمنين .

ولما أرسل النبي إلى ملوك الأرض وفوداً وكتباً بختمه يدعوهم إلى الاسلام ومنهم هرقل الروم ومقوقس مصر وكسرى الفرس ، لم يغفل النجاشي فكان



رد النجاشي جميلاً لطيفاً ، خصوصاً بعد ما كان بينه وبين المسلمين الذين هاجروا الى بلاده وأقاموا في جواره .

ويظهر أن عاطفة ود صحيح قد نمت بين النبي وبينه حتى زعم بعضهم أنه أسلم ولكن هذا خبر مبالغ فيه غير أن النجاشي لم يقصر في حمل المهاجرين من المسلمين بزعامه جعفر بن أبي طالب ومعهم رملة بنت أبي سفيان ( أم حبيبة ) . ولما عادت أم حبيبة من الحبشة أصبحت من أزواج النبي ومن أمهات المؤمنين . وقد علل المؤرخون هذا الزواج بأسباب كثيرة منها أن محمداً أراد الارتباط بأبي سفيان ومنها أنه أراد كيده وهو في وثنيته قد دخلت ابنته في دار خصمه الألد صاحب الدين الجديد .

والسبب الصحيح في زواج النبي من أم حبيبة هو رغبته في مكافأتها على ثباتها في دينها والأخذ بيدها بعد تنصر زوجها ثم ما رآه فيها من الذكاء الخارق وحضور البديهة وسرعة الخاطر وصدق المشورة في الأزمات سواء أكانت في الهجرة أو في الوطن أو في الحرب أو في السلم . فانها هي التي دبرت كثيراً من شؤون المهاجرين في الحبشة وهي التي ردت كيد عمرو بن العاص في نحره عند ما أراد الدس للمسلمين عند النجاشي<sup>(١)</sup> وهي التي أشارت على النبي في الحديبية بحلق شعره وذبح هديه والخروج الى الجيش فاتبعوه وبذا حلت أزمة داخلية كبرى . وإذن يكون عقل أم حبيبة ومتانة خلقها وحسن تديرها وثباتها على دينها ( لأنها لم تتبع زوجها ابن جحش عند ما ارتد ) هي الللال التي عطفت قلب رسول الله عليها وجعلته يقدرها . قدرها فضمها الى آل بيته .

(١) في جاهليته . راجع سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وترجمة محمد عليه الصلاة والسلام لمرغليوث



هذا بعض ما يربط الحبشة بالاسلام ومصر ، في العصور القديمة وقد أسهبنا الكلام فيه في الفصل الأول من الكتاب .

ان مصر والشرق بجناحيه الأدنى والأقصى بعد قلبه الخافق ، والعروبة بشعوبها ودولها كلها مهتمة بحالة الحبشة ومركزها في العالم وأزمتهما الحاضرة . وإن اهتمت أوروبا بالمشكلة الحبشية خوفاً على السلم العالمى أو مقاومة مطامع ايطاليا الاستعمارية ، فاننا نهتم بالحبشة لأنها تمثل الشرق وافريقيا فى أسمى مظاهرها وأروعها وأرفعها وأشرفها وأسمىها وأى شىء أعظم من التعلق بالحرية جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر والوقوف فى وجه العدو الأجنبى مهما كانت قوته وبطشه وسلطانه وتهديده ووعيده ووعوده ونفوذه ونقوده . فان الأحباش يرون الحرية أغلى من كل خير فى الحياة كما يرون كل شرٍّ هيناً فى سبيلها .

ونحن لا نبغض الطليان ولا نظن أنهم يناصروننا العداء أو يحملون لنا حقداً فى حنايا ضلوعهم . وقد دامت علاقة الود بيننا وبينهم أجيالاً طويلة ولكن هجومهم على الحبشة فى سنة ١٨٩٦ وعلى طرابلس الغرب فى سنة ١٩١٢ ومعاودتهم الكرة على الحبشة فى هذا العام حول قلوبنا عنهم ، والصراحة فى هذا الظرف واجبة فنحن لا نحب أن نرى دولة أجنبية تنقض على مملكة شرقية فى هذا العصر عصر المدنية والحرية . وقد هاج الاعتداء الايطالى ضمير العالم كله ، فلا عجب اذا هاج ضمير مصر وبينها وبين الحبشة ما ذكرنا من أواصر الجوار والمودة ولا نخفى أننا لو استطعنا لمنعنا هذه الحرب بكل الوسائل التى فى وسعنا وان أسفنا على شىء ، أسفنا على أن مصر ليست عضواً فى عصبة الأمم لتتمكن من اسماع صوتها ، لأن قنال السويس واقع فى أرضها وهى قناة عالمية



محايده ، ولكن موانع السياسة وتردد رجالنا حرمتنا من هذا الحق المقدس ،  
فان مصر ليست أقل من العراق ولا من الحبشة نفسها ، التي ننبري اليوم للدفاع  
عنها ، وكان صوتنا يكون أرفع وحجتنا أبلغ لو أن لدينا قوة مادية أو مقعداً  
ومنبراً في جنيف .

وان تقدماً كتبه الله لنا ، وثروة في العلم والمال تالدة وطارفة وموطناً  
يتوسط العالم القديم براً وبحراً ، أنعمها علينا خليقان بأن يجعل لمصر مركزاً ممتازاً ،  
فما فتئت مصر تشغل بال العالم في الحرب والسلام ، وتحسب لها دول الأرض  
حساباً غير يسير وقال نابليون بونابرت « مصر أعظم مملكة في العالم » ولم يخف  
عليه أنها تستطيع بموقعها الجغرافي أن تتحكم في حظوظ طائفة من الأمم غير قليلة -  
غير أن مصر كثيراً ما ضيعت الفرصة السانحة وأفلتت من يدها زمام السياسة  
التي تصلح لها وتهاونت في كثير من حقوقها حتى كادت تمحو حسن طالعها .

ما الذي عاق مصر عن الدخول في عصبة الأمم ؟ أنها السياسة ، وأنه الجهل  
العقيم لا قضاء ولا افتاء ولا قول المؤرخين الهراء .

أليس الدافع للفاشيست وهمهم انهم قادرون على أن يفعلوا ما لو كانت  
الاسلاف أحياء لقصرت عن فعله ؟

ويظهر أن الفاشيين يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولتهم وممثلاً  
لأوامرهم ، خارج عن الحضارة وهم يصفون خصومهم بأنهم متوحشون وطائشون  
وغير جديرين بأن يكونوا أمة أو يدخلوا في زمرة العصبة . وتحب أوربا أن  
تذكرهم بموقعة عدوة التي ما تخلصوا من ذكرها الأليمة إلا بمجهود جهيد .

سيرى القراء أن إيطاليا تعلل نفسها بالانتقام لعدوة ، ويكادون وهم  
يطرحون نزاعهم على بساط البحث في جنيف ، يهاجمونها بقنابلهم وطائراتهم



قبل أن تكشر الحرب عن أنيابها ، وقبل أن تدق تلك الشمطاء طبولها في آذان الأمم المطمئنة الوادعة<sup>(١)</sup> .

ولكن امبراطور الحبشة الذي وصفه الدوتشى بالثرثرة عرف كيف يتقدم إلى جامعة الأمم فسلم الأمر للمندوبين راضياً وترك حقه راغباً فأمسوا عنه راضين كما رضى ، يرون رأيه حذو القذة بالقذة<sup>(٢)</sup> .

ولئن ذكروا ثأر عدوة ، الذي انتقضت عليه أربعون سنة ، فقد أخطأوا لمرمى وأساءوا اختيار الحجة ، فانه في دون هذه المدة ، تنسى الأحقاد ، وتموت الترات ، وتبرد الأكباد الحامية ، وتسلو القلوب الواجدة ، ويعدم قرن من الناس ويخلق قرن جديد ، ولم يبق من أرباب تلك الشحنة إلا الأقل<sup>(٣)</sup> .

فماذا تفيد إيطاليا الآن من إظهار ما في النفوس ، وهيجان ما في القلوب ، ما دامت الاخلاف من قومهم ، والاحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائع الأبحاش وفتكاتهم لا يفكرون في الانتقام من قوم لا تزال سيوفهم ورماحهم تقطر دماً في سبيل الدفاع عن أوطانهم .

وطالما لقي الأبحاش أعداء في سبيل الدفاع عن وطنهم ، فلقوهم ، نفخ العلانية ، خور السريرة ، هرج في الرخاء ، جزع في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايهم قلوبهم ، إن أهملوا خاضوا ، وإن حُوربوا خاروا ، وإن اجتمع العقلاء على رأى طعنوا ، وإن اجيبوا إلى مشاقة نكصوا .

(١) بعد كتابة ما تقدم هاجموا عدوة في ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٥

(٢) عند ما دخلت الحبشة عصبة الأمم رحب بها إيطاليا وأثنى عليها

(٣) لم يسافر إلى الحبشة من بقايا جيش عدوة الايطالى إلا ضابط واحد في الستين

من عمره .



ولما اجتمعت عصابة الأمم خلال شهر سبتمبر وانبرى مندوبو الأمم يدافعون بالبرهانات القوية لجاح إيطاليا وجدالها ، لم يجدوا لديها سوى الطعن في الحبشة والانتقاص من مكانتهم بين الأمم . وكان المندوبون يظنون أن إيطاليا بعد الجدل والخصام واللد ستلين شدتهم بعض اللين ، ولكنهم أُخبروا كل عظيم وعبقري والمعنى من المندوبين وأعضاء اللجان وهم يحاورونهم ، فأمن المندوبون وصدقوا أن لا حجة لديهم ولا برهان سوى حجة الذئب ضد الحمل ، ولكن يظهر أن الرعاة قد تضافروا هذه المرة لينعوا المفترس عن الفريسة .

إن مسلك مصر لا ينطوى على العطف فقط ، بل إنه مستمد من مشاركة العالم المتحضر رأيه في خطة إيطاليا . فالعالم لا يريد حرباً لأنه علم بالخبرة المحرقة أن الحرب عدو التقدم الألد وخصم الحضارة الأعند ، والعالم لا يشفق على من يززع أركان السلم ويهرق الدماء في سبيل مخاوف موهومة من الجوع الذى سوف يلحق فى زعمهم الأجيال المقبلة ، ففي سبيل ضمان الرغيف لأبناء الغد يفنى أبناء هذا القرن عن آخرهم وحينئذ يكون من قال « عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة » . قد أخطأ فى شريعة الفاشيست .

ومن ذا الذى أعطى الطليان حق الاعتداء على الأحباش ، والتنكيل بهم والنيل من كرامتهم وامتهان أمتهم بحجة تحضيرهم وتدينهم ، وهذه أمة على أفرقيتها وبساطة أخلاق أهلها ، وبعدهم عن خبث بعض الممالك المتحضرة يرجع نسبهم إلى الحرية ثلاثة آلاف سنة إلى عهد سليمان الحكيم<sup>(١)</sup> فى حين أن استقلال الطليان وجلاء آخر جندى أجنبى من عاصمتهم يرجع إلى ستين عاماً .

(١) نشرنا آيات القرآن التى لها مساس بهذه القراية .



سوف يسجل التاريخ الانساني أنه لم يسبق لساسة في العصر الحديث أن يروا نشوب حرب جائرة بمثل هذه السهولة . فها كم دولة كبرى من ضامنات السلام العام في العالم ، وفي الصف الأول بين دول أوروبا المتحضرة ، أو التي تقول عن نفسها ذلك ، ما برحت في ثنايا ضميرها منذ أعوام تهيء المعدات العسكرية وتعد ما استطاعت من قوة وسلاح ورباط الخيل والطير ، فلما وثقت أنها أتمت عدتها وأكملت استعدادها ، اشعلت نار حرب شعواء للغزو في سبيل الفتح والغنيمة تذكر العالم بغارات القبائل على الممالك الكبرى ذات الحضارة . ومما زاد هذا الشعور ألاماً أن الدولة المهاجمة رفيقة لها وزميلة في عصبة الأمم التي تجمع الاثنين بعهد الشرف .

وفي الحق أن عصبة الأمم لم تقصر في أداء واجبها فوافق مجلسها المنعقد في جنيف في ١٧ أكتوبر باجماع الآراء على تقرير لجنة الثلاثة عشر ولجنة الستة وألقت على الدولة الأوروبية المتمدنة مسؤولية الحرب الجائرة .



## ١ — علاقة الحبشة بمصر والاسلام

قديمًا وحديثًا

كانت الحبشة تدين بالوثنية كسائر الشعوب الافريقية ولكن اتصاها بينى إسرائيل ما أدّى إلى انتحالها الدين الموسوى . فلما أذن الله للمسيحية أن تنتشر ودانت لها الامبراطورية الرومانية وانتشرت النصرانية فى اليونان والشام ومصر ، امتدت من مصر إلى الحبشة . وكانت الحبشة منذ أول أمرها ترمى إلى الفتح فتغلبت على اليمن إلى أن غلبهم الفرس فى عهد كسرى فأجلوا عنها وارتدوا إلى حدود بلادهم وراء البحر الأحمر بعد أن ملكوا اليمن خمسة وسبعين عامًا .

وكانت الحبشة قبل ظهور الاسلام بخمسين ومائة عام والنجاشى على عرشها فى قمة مجدها تجرى بأمرها فى البر والبحر تجارة واسعة ويمخر البحار أسطول لها قوى أخضع لها ما جاور شطوطها من البلاد وقد خطب أهل يزنطة ودّها وولاءها واعتبروها ممثلة للسلطة المسيحية فى البحر الأحمر وبأمرهم فتحت الحبشة بلاد اليمن على يد قائد حبشى خلعه أبرهة الأشرم المشهور فى تاريخ الاسلام بصاحب الفيل لأنه هو الذى قاد حملة الفيل إلى مكة وحاول تدمير الكعبة فكان ما كان من خبر فشلهم وهلاك جيشهم .

وكان عبيد الله بن جحش من أكابر العرب فى السؤدد والنفوذ ، وفى التفكير أيضاً فكان فى الجاهلية يبغض الوثنية ويتشكك فيها ويريد أن يعيش حر الفكر غير مقيد بعبادة الأصنام أو أية عبادة أخرى من قبيلها وكان هو وثلاثة من صحبه هم زيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل يحرقون الوثنية



وينكرونها ويعتبرون أهلها في ضلال ، حتى أن عبيد الله بن جحش انبرى لاصحابه وقال « تعالوا والله ما قومكم على شيء وإنهم لفي ضلال فما حجر نظيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجري دم النحور ، يا قوم التسوا لكم ديناً غير هذا الذي أنتم عليه ! »

وظل عبيد الله بن جحش فيما هو فيه من الثورة على الوثنية حتى ظهر الاسلام فكان في مقدمة الذين اسلموا ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة وقد صحبته في هجرته إلى الحبشة امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي أخت معاوية .

ولما كان عبيد الله بن جحش قابلاً للتغيير والتبديل في معتقده منذ ترزع إيمانه ومنذ اجتمع هو وقومه بنخلة ليحيوا عيد « العزى » فقد دب هذا الضعف إلى دينه الجديد بعد هجرته فسهل على دعاة المسيحية في الحبشة أن يجذبوه اليها فانتحل النصرانية وطلقت امرأته وما زال على النصرانية إلى أن مات عليها<sup>(١)</sup> .

أما أم حبيبة فبقيت على دينها وهو الاسلام حتى عادت من هجرتها مع من عاد من المسلمين وصارت من أزواج النبي وأمهاث المؤمنين . وكانت على عقل راجح وخلق متين .

لما ظهر الاسلام بشيء من القوة بدأت قريش تناوئه وتعاكس ذويه وتنزل بهم ما تقدر عليه من صنوف الاضطهاد والتعذيب والبلاء حتى بلغ التعذيب التقييد بالسلاسل والحبس والجلد ، حتى القتل ! فضج المسلمون واستغاثوا بالله ورسوله فأشار النبي عليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة النصرانية لأنها قريبة من وطنهم ولأن بها ملكاً هو النجاشي لا يظلم أحداً وقيل إن النبي عليه الصلاة والسلام وصف أرض الحبشة بأنها أرض صدق ... وقد أشار النبي

(١) سيرة ابن هشام وتاريخ العالم لولز ص ٣٢١ .



على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة والبقاء بها حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه .  
فأطاعوا أمر رسول الله وخرجوا من مكة فارين بدينهم إلى الله وكانت الفرقة الأولى من المهاجرين مؤلفة من أحد عشر رجلاً وأربع نسوة تمكنوا من الفرار من مكة فلما بلغوا بلاد الحبشة أكرم النجاشي وفادتهم ثم عادوا إلى مكة ظناً منهم أن قريشاً كفت أذاها عن المسلمين فرأوا بأعينهم من الأذى أشد مما عانوا في بداية أمرهم فعادوا بهجرتهم إلى الحبشة وقد بلغوا ثمانين رجلاً غير النساء والأطفال وما زالوا بها إلى أن هاجر النبي إلى المدينة . وقد استمر الفريق الأول في الحبشة ثلاثة أشهر ، كان عمر بن الخطاب قد أسلم في أثناءها فاشتد ساعد المسلمين في مكة وظن المهاجرون أنهم لن يلقوا بها عنتاً فعادوا إلى وطنهم ولكن آمالهم حبطت عند ما رأوا من ظلم أهل مكة أكثر مما رأوا من قبل فعادوا إلى الهجرة في عدد أوفر .

عاد المسلمون المهاجرون الأوائل من الحبشة بعد ثلاثة أشهر بعد أن أسلم عمر بن الخطاب ونصر الاسلام بمثل الحمية التي كان يحاربه بها من قبل حتى اضطرت قريش لمهادنة المسلمين وعادوا حين شبت الثورة في بلاد الحبشة ثورة خافوا مغبتها .

والثابت في كتب التاريخ أن أهل قريش لم يطمئثوا إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة فبعثوا برسولين إلى النجاشي يحملان أنفس الهدايا وأغلاها ليقنعوه برد المسلمين المهاجرين إلى وطنهم وقد علم أهل مكة أن النجاشي تفضل فبسط حمايته على المسلمين المهاجرين بعد أن سمع أقوالهم في وصف دينهم الجديد .  
أما رسولا مكة إلى النجاشي فكانا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة وقد دل القرشيون بهذا الانتخاب على صدق فراستهم وحسن إختيارهم ولا سيما



في إختيار عمرو فقد سبقت له أسفار إلى الحبشة لأنه كان في الجاهلية يتجر بيضائع اليمن والحبشة إلى الشام وأهمها الادم والعطر

وقد عادت ممارسة التجارة على عمرو بأعظم الفوائد المادية والمعنوية فاكسب كثيراً من أسفاره المتصلة واختلاطه بأقوام على جانب عظيم من المدنية والارتقاء إذ ذاك فتولدت فيه المواهب النادرة ونمت وازدهرت فتجلت مظاهرها في جميع أدواره وكل فعالة مما كان له أعظم الأثر في مواقفه السياسية والحرية وهذه الأسفار أ كسبت عمرواً شيئاً من الدهاء غير قليل<sup>(١)</sup> من ذلك ما ورد في الأغاني<sup>(٢)</sup> وهو خاص بما وقع بين عمرو وعمار بن الوليد الخزومي من التناحر والمكيدة على النفوذ والنساء وما زال عمرو يرصد لماراة حتى أوقع به في دسيصة قضت على سعادته

هذا هو عمرو بن العاص أحد الرسولين اللذين بلغا الحبشة ليستردا المهاجرين فدفعاً<sup>(٣)</sup> إلى النجاشي ورجال كنيسة ما كان يحملان من الهدايا وتقدم عمرو في بلاط النجاشي عند التشريف الأولى بالخطبة التالية على لسان قومه قال : — « أيها الملك ! إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم اليك فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه »<sup>(٤)</sup>

ولم يقصر عمرو بن العاص في استمالة قلوب بطارقة الحبشة اليه بالهدايا والتحف ليكونوا في صفه عند النجاشي ويسهلوا عليه استرداد المهاجرين دون

(١) ص ٢٦ عمرو بن العاص لحسن ابراهيم (٢) ج ٨ ص ٥٠

(٣) حياة محمد للدكتور هيكل (٤) حياة محمد للدكتور هيكل بك



أن يسمع النجاشي دفاع المهاجرين . وبذل البطارقة قصارى جهدهم في إيفار صدر النجاشي على المسلمين المهاجرين فأبى عدل النجاشي الذي ذكر عنه النبي « أنه لا يظلم عنده أحد » أن يجيب طلب الرسولين حتى يسمع ما يقوله المهاجرون فلما مثلوا بين يديه سأهم عن الدين الذي فارقوا فيه قومهم ولم يدخلوا به في دينه ولا في دين أحد من الملل .

فأنبرى له جعفر بن ابى طالب (ابن عم النبي) فقال :

« أيها الملك ! كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وأبائنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بالصدق والأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فصدقناه وأماننا به على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ورجونا أن لا تظلم عندك »<sup>(١)</sup>

فقال النجاشي :

— هل معك مما جاء به عن الله من شيء تقرأه على ؟

قال جعفر : نعم !

---

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٥



وتلا من سورة مريم إلى قوله تعالى :

« فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ! قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بالديني ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علىَّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعثُ حياً »

فلما سمع البطارقة هذا القول مصدقاً لما في الانجيل أخذوا وقالوا هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح ! وقال النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرجُ من مشكاة واحدة . ثم التفت إلى عمرو ورفيقه وقال لهما :

« انطلقا والله لا اسلمهم إليكما ! »

ولكن عمرو بن العاص لم تخمد جذوة مكره ولم تنطفئ شعله دهائه فعاد من الغد إلى النجاشي بفتنة جديدة ولكنها فشلت . وقال النجاشي للمسلمين « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط » وقد أخذ عوداً وخط به على الأرض . وأحسن وفادتهم وأكرم ضيافتهم وعاملهم بالعدل والدعة .

وقد برهن الأحباش وعلى رأسهم النجاشي والبطارقة أنهم شعب كريم عريق في الشفقة والانسانية والعطف على كل مظلوم أو مضطهد سواء كان على دينهم أو على دين يخالفه . فغمروا المسلمين المهاجرين بحسن الجوار وجميل المعاملة مما جعل المسلمين يطمئنون إلى جوارهم ويسكنون إلى حمايتهم من أهل مكة الذين تتبعوهم بالأذى حتى في المنفى ودل النجاشي والأحباش على أنهم أهل مروءة ونجدة وقد صدق نظر رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ بعث بأصحابه إلى الحبشة منتظراً معاملتهم بالعدل والحسنى .



## ٢ — طموح مصر إلى فتوح أفريقيا

١ — آخر جهود مصر في توسيع أملاكها في أفريقيا

تنازلت الحكومة العثمانية في سنة ١٨٦٦ لمصر عن سواكن ومصوع مقابل زيادة في الجزية التي كانت تقبضها تركيا من مصر مساندة فأخذت الحكومة المصرية تسعى في توثيق المواصلات بين مصوع وكسلا فأنشأت بينهما خطاً حديدياً يمر في سنهيت التي اعتبرتها مصر داخلية في منطقة كسلا . ولمدينة كسلا هذه أهمية كبرى من الناحية الحربية لأنها واقعة على أحد راوفا نهر عطبرة وقرية جداً من الحدود بين الحبشة والسودان ويكاد يربطها بمصوع خط مستقيم ماراً باسمرا (عاصمة اريتريا) ولا تبعد كسلا عن حدود اريتريا أكثر من عشرين كيلومتراً فلها في كل وقت أهمية عسكرية كبرى في أى حرب تنشب بين الحبشة وبين أية دولة أخرى « ولو أنها كانت في يد إحدى القوتين المتحاربتين لأكسبتها مزايا لا يستهان بها ، بل أن كسلا تستطيع أن تتحكم عسكرياً على اريتريا<sup>(١)</sup> » .

ولم تكن تلك الأهمية لتخفى على نجاحى ذلك الزمان (١٨٦٦) وهو تيودورس فادعى امتلاك سنهيت للحبشة .

ولكن تيودورس ما لبث أن جر على نفسه حرباً مع الأنجاي واليك بيان أسباب تلك الحرب بالإيجاز فان سياسة بريطانيا في شرق إفريقيا في أواسط القرن التاسع عشر كانت تسعى في الاتصال بحكام الحبشة حتى توطدت روابط

---

(١) اللواء رمضان باشا في مقالة « الخطة الحربية الايطالية »



المودة بين الإنجليز وبين تيودورس ملك الحبشة وفي نهاية الأمر جردت عليه حملة انتهت بانتحاره خوفاً من الوقوع في الأسر وسقوط ماجدلا عاصمة ملكه في يد سيرروبرت نايبير الذي صار لورد نايبير أوف ماجدلا بعد انتصاره على الأحباش. واصل هذا البلاء ، أنه في سنة ١٨٠٥ هبط أرض الحبشة إنجليزى عظيم هو الفيكونت جورج فالنتيا وكاتم سره هنرى صولت فطافا بالبلاد وتعرفا بالملك إيموالاصيونى وقدا اليه الهدايا والتحف لأن الهدايا تصون الصداقات ثم رحلا . وبعد أربع سنين عاد صولت بهدايا نفيسة وخطاب توصية للملك وهو مزود بأوامر تقضى عليه أن يضع تقريراً وافياً عن أحوال البلاد ، وأن يتصل بالقبائل المتاخمة للسواحل ليدعوها للمتاجرة مع بريطانيا . فنحن نعد الفيكونت وكاتم أسراره طلائع الغزو الأوروبى فى الحبشة وإن كنا نعلم أن إنجلترا لم تكن ترغب فى شىء أكثر من إجتلاب الأحباش إلى أسواقها وهى تتبع فى ذلك الطرق الودية والدبلوماسية .

وعاد صولت إلى إنجلترا ووضع كتاباً فى سنة ١٨١٣ عن رحلته إلى الحبشة وبذلك انتهت مأمورية الرائدین الأولین وهى سياسية ودية . وفى سنة ١٨٣٠ زار الحبشة الأسقف جوبات وزار « جندار » بصحبة مستر كوفن الذى رافق صولت فى رحلته السابقة ، وفى سنة ١٨٤٠ اتصلت حكومة الهند بالرأس شمالا سلاسى حاكم شوا وعقدت بينهما معاهدة صداقة وولاء ( ١٨٤٤ ) وطاف بالحبشة رائدان حرييان هما هاريس وجونستون وعقبهما وكيلان من ديوان الخبرات هما بلودن وبل التقيا بالسويس ، وتذرعا بالحيلة والذكاء حتى تمكنا من الطواف بالحبشة ثم عادا إلى إنجلترا فعُين أحدهما مستر بلودن قنصلاً لدولته فى مصوع وعمله الظاهر الدعوة لترويج المصنوعات الأنجليزىة .



وقد قابله لورد بالمرستون قبل سفره إلى الحبشة في سنة ١٨٤٨ وزوده بهدايا للرأس على ، وأوصاه بتوثيق العلاقات بين إنجلترا والحبشة فلما وصل بلودن في سنة ١٨٤٩ إلى الحبشة وقع مع الرأس على معاهدة فتناول الرأس القلم مبتسماً وقال «معاهدة لا فائدة منها ! لأنه ليس في الحبشة ما يغري أحداً من تجار الانجليز»<sup>(١)</sup> وكان الرأس على أقوى حكام الحبشة وأحقهم بلقب ملك أو نجاشي .

وقد تنازل لبريطانيا عن حق حماية الرهبان الأحباش في القدس

ظهر في أفق الحياة الحبشية « لدج كاسا » ( بعد ذلك تيودورس الثاني ) وكان شهماً مجازفاً فتغلب على خصومه ومزاحميه . وكان رجلاً خيالياً ، يعتقد أنه بطل رباني مرسل من العناية الإلهية لاداء وظيفة سامية للوطن وهي جمع كلمة الأحباش ولم شعهم تحت علم واحد لتبلغ ذروة المجد والقوة فيخشوها العالم كله . وكان الرأس على يرى غير رأيه ويفضل التأنى وتقديم الرأي على الشجاعة فكانا في أخلاقهما على طرفي نقيض فساءت العلاقة بينهما وتنازلا في مواقع عدة انتهت بأن خلص لدج كاسا من الرأس على بأن أصابه بحرح في رأسه أرداه قتيلاً .

وتوج كاسا ملكاً على الحبشة باسم تيودورس الثاني لأنه علم من بعض الأساطير أن سيأتي على الحبشة ملك قوى اسمه تيودورس يلم شمل الأمة والوطن ويحكم بالعدل والانصاف فترهب الدول جانبه ويعم اليسر والرخاء عهده فاعتقد كاسا (ومعناها بالحبشي عوض) أنه هو المقصود بالذات ، وإن لم يعتقد فقد أراد أن يكون هو فتوج في ١٨٥٥/٢/٧ ملك ملوك الحبشة .

(١) مازالت أوروبا تجري وراء المعاهدات والامتيازات في إفريقيا وآسيا وآخرها امتياز ركبت الشهير .



واجتمع الصديقان بلودن و بل ثانية في معسكر تيودورس عقيب تنويجه  
وقد تزوجا من سيدتين حبشيتين عريقتين في المجد وكانا صديقين للرأس على  
فلما قهره كاسا لاذا بمعسكر الغالب معاً .

وقام تيودورس ببعض شؤون الإصلاح في البلاد وحدث أن مستر بل  
(أحد الاثنين) قتل برصاصة طائشة مجهولة المصدر . فحزن عليه تيودورس حزناً  
شديداً لأنه كان يعول عليه ، وكان يجد في عشرته السلوة التي يلقاها الملوك  
في الندامى .

فكان عهد تيودورس نذيراً بهلاك الصديقين فان بلودن الذي بقي بعد  
مصرع بل وهو قنصل انجلترا بمصوع مرض وأراد السفر إلى وطنه للعلاج فأبى  
عليه تيودورس مفارقتة فخطفه بعض خصومه ودفع النجاشي ديتة ، ثم اشتدت  
عليه وطأة المرض فتبع رفيقه السابق بل إلى الدار الآخرة وبموتهما فقد النجاشي  
تيودورس ( كاسا سابقاً ) خير أعوانه فساءت علاقته بالانجلترا حتى نشبت  
الحرب بين انجلترا والحبشة فطلب الانجليز من حكومة مصر ( عهد اسماعيل )  
أن يأذن لهم باجتياز بعض الأرض المصرية الواقعة على بحر القلزم ، فلم يكتف  
اسماعيل باجابتهم الى ذلك ولكنه لاستيائه من تيودورس وضع الأسطول  
المصري كله الذي كان في البحر الأحمر تحت تصرفهم وكلف حاكم مصوع  
بمساعدة الانجليز في كل ما يرغبون و انتهت الحرب بين انجلترا والحبشة بموت  
تيودورس كما قدمنا في سنة ١٨٦٨ وصيرورة العرش الحبشي إلى يوحنا .



ب — الرأس يوحنا وحروب مصر والحبشة

كان يوحنا في أول أمره راهباً صغيراً في دير ، ولكنه مالبث أن تركه وترأس عصابة من الأقوياء وأخذ يقطع الطريق على السابلة . ثم اشتد ساعده وزاد بطشه وعلا نفوذه حتى تمكن من تبوء كرسى الحكم في مقاطعة البحرى والتغلب على الرأس باريو .

ولما جاء الانجليز لمحاربة تيودورس ساعدهم يوحنا مساعدة فعالة فكافاه لورد نابيير أوف مجدالا<sup>(١)</sup> بعد قهر النجاشى وموته ، بأن ترك له إثني عشر مدفعاً وألفى بندقية وميرة كثيرة ليستعين بها على الحلول محل تيودورس وبعد انسحاب الجيش الانجليزى تخلف عنده بريطانى اسمه چون تشارلز كركهام فعضد يوحنا فى التغلب على بعض خصومه فعلت عنده منزلته وبما أن يوحنا لم يكن من آل بيت الملك ، أبى كثيرون من رؤساء الأقباش الاعتراف به ، وأخذوا يناوئونه العداء وأهمهم رأس قبيلة القالا ، فانشغل بقتالهم حيناً من الدهر .

وكانت الدولة المصرية قد توغلت فى فتوحها حتى بلغت خط الاستواء فوقع فى خلدتها أن تجعل النيل كله مصرياً فسيرت حكومة مصر إلى جوف بلاد الحبشة رجالاً سويسرياً اسمه متزنجى لمعرفة أحوالها واستمالة كبار رؤوسها فتوغل متزنجى فى الحبشة وغاب خبره حيناً عن مصر ثم عاد حاملاً شيئاً من منتجاتها وزين لحاكم مصر إذ ذاك وهو الخديو اسماعيل التغلب عليها وامتلاكها مقتناً فرصة الفتنة بين أمرائها وأقسم له بأغاظ الايمان أنه يملكها ويدوخها بنفر من العسكر المصرى وشىء يسير من النفقة . فأعجب الخديو برأيه ومال إليه

(١) على وزن لورد كاتشر أوف خرطوم لان مجدالا اسم بلد حبشى



فولاه الحكم على مصوع (مفتاح الحبشة) فسار مترنجر إلى مقر وظيفته واغتنم في سنة ١٨٧٢ فرصة غياب يوحنا في محاربة القالا في الجنوب واستولى على سنهيت المذكورة آنفاً وهي عاصمة البوغوس وتعرف باسم (كرن) واستمال الرأس محمد الذي كان يكره يوحنا واشترى منه مقاطعة قريبة من مصوع اسمها (آيلت) وخشى يوحنا عاقبة الفتح المصرى وأخذ يرى شبك الدولة المصرية حوله بعين الرعب والحذر وينظر إلى تقدم الجنود بقلب مضطرب ، ووقع في خلدته في أول الأمر أن يستظل بحماية أوروبا بأن يصور لهم الهجوم المصرى بصورة غزو اسلامى لبلاد مسيحية يستدعى أن تقابله النصرانية الأوروبية بحرب صليبية جديدة ، فأرسل صديقه چون شارلز كركهام إلى الملكة فيكتوريا وبقى عواهل أوروبا في تلك المهمة ، ولكنه لم يجد من أحدهم أذناً صاغية وعاد رسوله بخفى حنين .

وأيقن يوحنا أنه لا يحك جلده مثل ظفره ، فصمم على أن يتولى جميع أمره وأن يقوم بالدفاع عن نفسه بنفسه

وفي سنة ١٨٧٤ توفى السلطان احمد سلطان هرر<sup>(١)</sup> وتولى السلطنة بعده الأمير محمد فاستبد بالأهلين فاستنجدوا باسماعيل فأخذ يسعى في شراء زيلع وبربر ثغرى هرر من الدولة العثمانية وتمت الصفقة وتنازل الباب العالى عنهما في يوليو سنة ١٨٧٥ مقابل زيادة ١٣٣٦٥ جنيهاً على جزية مصر السنوية .

فامتد سلطان مصر على ساحل القلزم الغربى عامة من خليج السويس إلى تجوره وتجاوزته إلى رأس جردافوى على المحيط الهندى متناولاً بذلك نفس أرض الصومال .

(١) هرر سلطنة اسلامية مستقلة شرق الحبشة أسسها غزاة العرب بعد قيام الاسلام بقليل وحكمتها أسرة من أهله .



وعقدت الحكومة المصرية لواء حملة لمن يدعى رؤوف باشا فاحتلت مدينة  
هرر في ١١ أكتوبر سنة ١٨٧٥ وقبض قائدها على السلطان محمد وقتله خنقاً  
بجيلة في حفلة دينية حينما كان السلطان جالساً يصلى أو يذكر وقتل معه خمسة  
وعشرين شيخاً من الزعماء واستولى على كل ما كان يملكه ذلك السلطان<sup>(١)</sup>

وقد شبه الحكومة مصر بعد شراء زيلع واحتلال هرران اكتساح الحبشة  
بات أمراً لازماً ولم يعد منه مناص فجهزت حملة الأميرالاي ارندروب الطوبجي  
النمركي في شتاء ١٨٧٥ فسار قاصداً إلى (عدوه) إحدى عواصم يوحنا . وكانت  
انجلترا وفرنسا قد سلحتا الحبشة بالأسلحة النارية سواء بالبيع أو بالإهداء

وفي أكتوبر سنة ١٨٧٥ علم يوحنا بزحف المصريين نحو أسمره فاستنفر  
جميع المقاتلين من رعاياه في سائر أنحاء المملكة فلبوا نداءه أفواجاً وأخذ يوحنا  
يمكر بجيش ارندروب ويخدعه فيتقدم تارة ويتأخر طوراً ثم يختفي ، ويظهر بعد  
ذلك فجأة ولا يلبث أن يعود إلى الاختفاء لإطماع عدوه في نفسه حتى انطلت  
حيلته على المتحمسين في الجيش المصرى ولم يكن هذا الاستدراجاً من يوحنا  
لخصومه . والتقى الجيشان على ضفاف نهر المارب وكان عدد الأحباش بنسبة ألف  
لكل عشرة من المصريين فهزموا .

فبادرت مصر إلى تجهيز حملة أخرى تحاط بجميع مسبات الفوز وتسييرها  
للحال للاقتصاص من الأحباش وللاقتصاص لشرف مصر بحيث تبلغ الغرب  
في آن واحد أنباء كسرة ارندروب وأنباء فوز الحملة المرسله للتأر لها ، فوزاً ساحقاً

---

(١) ما زالت هذه السلطنة في حكم مصر إلى مارس سنة ١٨٨٤ وقيام فتنة المهدي  
فاختلها جنود مصر وآلت إلى الأحباش في عهد منليك .



فتستمر الثقة بمصر تامة وتزداد على مر الأيام رسوخاً وتم ذلك وسلم لواء الحملة إلى السردار راتب باشا<sup>(١)</sup> وكان مولداً من أب شركسى ووالدة سودانية وكان شجاعاً أبي النفس لا يهاب الموت ولكنه كان كثير التردد في الحرب والسياسة وقد أوصت الحكومة المصرية راتب باشا وبقية قواد الحملة وهم من الشركس والترك والأمريكان والأوربيين بمراعاة شروط القانون الدولي في الحرب واتباع الأصول المتفق عليها عند الأمم المتحضرة فيمنعون الجيش عن ارتكاب أى عمل وحشى ويحملون الجند على تجنب الاساءة الى غير المحاربين من الجيوش فلا يقلعون زرعاً ولا يهلكون ضرعاً ولا يقتلون شيخاً ولا يذبحون طفلاً ولا يهينون امرأة ولا يحرقون بيتاً .

ولم تكتف الحكومة المصرية بتوصية السردار راتب باشا بكل هذه الوصايا السبع بل جعلته مسؤولاً مسؤولاً شخصية عن كل مخالفة تقع من هذا القبيل وسافرت الحملة وكلها أمل في الفوز والنجاح<sup>(٢)</sup> في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٧٥

ومن غرائب المصادفة أن رئيس حركة النقل في تلك الحملة كان احمد عرابى بك الذى أعدته الظروف في الأيام التالية لإضرام نار الفتنة العسكرية المعروفة في التاريخ باسمه . وكان رأى الضباط الامريكيين فيه حسناً جداً ، ويقول الكولونيل داي أن عرابى كان يكون ضابطاً من خيرة الضباط في قطر غير القطر المصرى ، فاستبدل وأقيم مكانه الضابط شاكر الشركسى . وضابط مصرى آخر هو على الروبى افندى الذى اشتهر فيما بعد في حوادث الثورة العرابية عهد اليه برياسة فرع المهمات وكان ضابطاً من أحسن الضباط وامتدحه رؤسائه

(١) مات منذ عشر سنين تقريباً بعد أن عمر أكثر من مائة عام وكان طول حياته ضعيفاً ضئيلاً في بدنه . (٢) كتاب مصر المسامة والحبيشة المسيحية تأليف داي



وزملاؤه الأمريكيون وكان النجاشي يوحنا يتقدم نحو الجيش المصرى المنكود الطالع كسابقه بخطى الثعالب وعزم الأسود حتى أصبح على بعد بضعة ساعات من (تياخور) و (عدى راسو)

وفى يوم ٧ مارس سنة ١٨٧٦<sup>(١)</sup> وقعت الواقعة ففوجئ الجيش المصرى وقائده الشركسى المولد وأركان حربيه المختلط<sup>(٢)</sup> بجيش النجاشي قادماً من ناحية دنجل وامهور من الجنوب والشمال والغرب وتدفق الأحباش من كل صوب بصياح وصلصلة سلاح مزعجين وسميت موقعة (قرع)

غير أنه إذا بكت مصر دمعاً سخيناً على أولادها الذين ضحى بهم فى تلك الأودية السحيقة جهل قوادهم الأتراك والشراسة فى الحبشة وأن تغنت بالفوز فى (قرع) لم تجد بداً من البكاء بدل الدمع دماً فان عدد قتلاها لغاية ١٠ مارس سنة ١٨٧٦ بلغ خمسة آلاف ناهيك بالجرى والذين فروا ولم يبلغوا ديارهم إلا معطوبين

وقد ثبت أن الجيش الحبشى الذى فتك بارندروب وحملته كان يزيد على سبعين ألف مقاتل ولم يقل الجيش الحبشى الذى قاتل فى (قرع) عن خمسين ألفاً

وفى ١٢ مارس دارت مفاوضات الصلح بين مندوب النجاشي وبين السردار راتب فصدر الأمر إلى السردار بعقد الصلح بأحسن ما يمكن من الشروط والجلء عن البلاد .

(١) مصادفة محيية فى أوائل مارس سنة ٧٦ وقعت هذه الحرب فى قرع وفى أول مارس سنة ١٨٩٦ هزم الطليان فى موقع عدوة أى بعد ذلك بعشرين عاماً .

(٢) كان راتب باشا شركسيا وجنرال لورنج والكرنيل داي وبورتر أمريكان وعلى بك ايطالياً حديث العهد بالاسلام وفون مكين نمسويا وخورشيد بك سودانيا وكونت سريانى ايطالياً ومحمد بك جابر مصرى وغيرهم من ملل ونحل مختلفة .



### ٣ — الاسم والمعتقد والاخلاق والاصول الأولى

أصل الحبشة من اسمها يدل على الجمع والضم واللم وفي لغة العرب « حبش » جمع و « تحبش » القوم تجمعوا و « الحباشة » جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة . ولما صار لفظ « الحبشة » يدل على جنس معلوم من بني آدم نسبت إليهم الشدة في السواد وفي حدة الأصوات . وفي العربية الحكيمة في مصر يقال « تحبشة » و « حباش » مجموعة مؤلفة من جملة عناصر خصوصاً في الطعام أو الفاكهة .

وهذا الاسم ينطبق على الواقع فإن أهل الحبشة خليط من شعوب مختلفة أولها الفرع الشرقي من أسرة حام وهو أغزرها عدداً وأقدمها إقامة وأعرقها أصلاً وهم الكثرة الغالبة في الأمة ويرجع إحتلالهم لهضبة الحبشة إلى ما قبل العصر الحجري ولم يتمكنوا من الاحتفاظ بنقاوة دماهم فاختلط بهم زواج على الفطرة من سكان النيل الأبيض وحميريون من أصل سامي من جنوب جزيرة العرب ولا تزال آثار هذا الاختلاط ظاهرة في شمال الحبشة وأهل هذه المنطقة يسمون أنفسهم « إيتو بياقيان » وهم الذين أطلق عليهم العرب إسم الأحباش أو « الخليط » ومن كلمة حبش جاءت كلمة الأفرنج « ايسنيا » وما زال العنصر السائد في البلاد هو العنصر الحميري السامي . ولو لم يمتزج هذا العنصر بالزواج لأمكن الاحتفاظ بكل مقوماته القومية ولكن خالطته دماء سوداء وأدّى هذا الاختلاط إلى تحول في اللون وفي شكل الشعر وتباين التقاطيع في سحنة الرجال والنساء <sup>(١)</sup> .

واللغة الحبشية الرسمية التي يتكلمها المتعلمون فنن من اللغة السامية وترجع إلى اللغة الحميرية أقدم فروع اللغة السامية ، وقد جلبها معهم النزلاء الأول الذين نزحوا من اليمن إلى ضفاف عطبرة ومارب والنيل الأسود وبحيرة تانا .

(١) اصول الاجناس لينوتر وأسفار جرفيه كورتلمون ودائرة المعارف البريطانية



وكان الشعب الحبشى يدين بالوثنية الأفريقية فدخلت عليه معتقدات سامية ، ولكن الدين الإسرائيلى لم ينتشر فيه لأسباب كثيرة ، إلى أن جاء القرن الرابع المسيحى فادخل فرمنتىوس السكندرى النصرانى العقيدة النصرانية وما زالت دياتهم إلى الآن ، وقد يعجب الإنسان من بعض المقارقات الاجتماعية التى تجمع بين المتناقضات فالنجاشى وهو ملك مطلق أو ملك الملوك يتمتع بسلطة لا تحدها العادات المرعية وهى قانون عرفى محفوظ غير مكتوب ولا مدون ويتحتم على كل إنسان أن يحترمه ويرعاه . ويخضع للنجاشى كل الرؤوس وتحت الرؤوس الدجازماك والكانيازماك وهما رئيسا الميمنة والميسرة .

وما زالت بعض الأحكام تصدر بما يخالف القوانين المعمول بها فى أنحاء العالم ، لأن الشعب الحبشى صرف كل جهوده نحو الدفاع عن إستقلاله فلم ينتبه إلى ناحيات الحضارة الانسانية فإن بعض ممالك أوروبا وأفريقيا لم تترك له فرصة إلا ليلم شعته ويجهز جيشاً من الحار بين الأشداء وعمله الوحيد الذود عن حياض إستقلالهم القومى وحريةهم الوطنية ثم أن أوروبا هذه التى لم تترك له فرصة لهؤلاء المساكين يلتمسون أثناءها وسائل الترقى التى نالتها أوروبا نفسها فى هدوء وأمان منذ القرون الوسطى إلى الآن نرى أوروبا هذه تعير الأحباش بأنهم لا يطبقون فى محاكمهم قوانين بونابرت وأنهم لا يزالون يستعملون السحر والمندل فى اكتشاف المجرمين ويأخذون بما يقول به طفل منوم على يد قسيس صادق أو مشعوذ دجال ، وأنهم لا يزالون يخطون بين القتل العمد والقتل الخطأ<sup>(١)</sup> . وأن مسيحيتهم لا تزال فطرية ولم تخلص من شوائب قديمة . . . كل هذا تنسبه بعض ممالك أوروبا للحبشة . وتنسى أنها هى السبب فى بقاء تلك

(١) اصول المدنية للورد آفبورى وتاريخ العالم لـ هـ . ج ولز



العورات التي تضخمها وتبالغ في وصفها وتهول بها حتى تسيء إلى سمعة الحبشة . ونسيت هذه الممالك الأوروبية أن الحبشة كانت مستقلة ومتمتعة بالحرية عند ما كانت تلك الممالك نفسها تزرع تحت نير حكام وظالمون مستبدون من أهل البلاد وغيرهم .

ان الاحباش فضلوا أن يعيشوا أحراراً وهم حفاة عراة يقاومون الجوع والظماً ويقاسون أهوال الفقر والفاقة . وقد وضعوا الحرية والعزة القومية فوق كل اعتبار آخر . وفي الوقت نفسه تعيش على ظهر هذه الأرض أمم ساجدة في بحبوحة من النعم وسارحة في فردوس من الهناء المادى ، ولكنها في الوقت نفسه رازحة تحت نير العبودية وأفرادها يلبسون الخز والديباج والحرير والسندس ورجالها يحلون صدورهم باليناشين والأوسمة ويحملون ألقاب الشرف المصطنع والتي يظنون معها أنهم فوق البشر . ويدوسون في رفق ولين بأقدام مكسوة بجوارب من الحرير الناعم ، وفي أحذية من جلد ملون ، لين للمس على أرض ممهدة لا أشواك فيها ولا صخور جارحة . وأنه ليوجد رجال من العقلاء والعلماء والشرفاء والذين يؤخذ برأيهم ، ويقام لقولهم وزن ، وهؤلاء الرجال يفضلون في صراحة وشجاعة حياة الأحباش وأخلاقيهم على أنهم حفاة وعراة وفقراء ، وجائعون وعطشانون ، لأنهم متمتعون برجولتهم كاملة ، ولأنهم يعرفون أسمى حقوق البشر ويحتفظون بها ويدافعون عنها . يفضلونهم على هؤلاء الأعيان والنبلاء الناعمين المنعمين « المطهرين » « المجمرين » كأنهم خيول مطهمة أعدت لركوب سادتها في الحرب والسلام ومع كل تلك النعومة والرشاقة وحسن القيادة تجدد هؤلاء السادة بمعزل عن إدراك المثل العليا التي تمجدها أوروبا والتي أدركتها الحبشة وهي لا تزال على الفطرة الإنسانية .



وحجة هؤلاء الرجال فى هذا الحكم الذى يبدو غريباً هى أن كل العلوم والمعارف والثقافة والتربية الفردية أو القومية وتهذيب الأمة للأم ، وعناية الوالد بالولد وتمجيد آثار الجدود ، وصيانة التقاليد فى الأسرة والقوم والوطن . وكل ما تؤدى إليه معدات الحضارة الحديثة . كل تلك ترمى إلى غاية واحدة وهى غرس بذور الحرية والشجاعة فى قلوب الأمة والاستهانة بالماديات فى سبيل المعنويات وتفضيل الحياة العليا المحفوفة بالمهالك على الحياة الدنيئة المحاطة بأنواع النعم والملذات وقد قام نزاع قديم بين علماء التربية وعلماء النفس على أى نوع من تربية الأطفال أصلح لتنميتهم على أرقى المبادئ وأسمأها حتى يصبحوا رجالاً يعتمدون على أنفسهم ويفضلوا الصالح العام على الصالح الخاص ويقدموا منفعة الوطن على منفعة الأسرة والفرد .

فقالوا تربية الانجلو سكسون هى المثلى ، وألفوا فى ذلك كتباً منها « سر تقدم الانجليز السكسون » وسبقه أميل روسو وأميل القرن التاسع عشر . ثم قالوا التربية الفرنسية أو الألمانية . وأنهم كذلك وإذا بتربية الحراج والغابات والمضارب ورءوس الجبال والخلاء والعراء . تبذ كل هذه الأنظمة مع أنها تربية لا تنطوى على برنامج دقيق لآداب المائدة أو قواعد الرقص الحديث أو بيان النظم التى تحتم لبس القمصان الالامعة ، وسترات الاسموكنج والفراك ، هذه التربية البعيدة جداً عن حياة الصالونات والبعيدة جداً عن « نفاق المجتمع المثقف ثقافة عليا » بذت جميع مظاهر الحضارة الأخرى فى وجوب الدفاع عن كيان الأمة التى ينتمى الفرد اليها .

وأن أوربا التى تعيب على الحبشة ما تعيبه حتى يصفها بعض المتعنتين أنها لا تستحق وصف الأمة ولا تسمو إلى عضوية جامعة الأمم ، تتناسى



وتتجاهل أن الحبشة قضت أكثر من ثلاثة قرون منعزلة عن العالم المتمدن ،  
ومحاطة بقبائل معادية تقطن الأراضى الجرداء والصحارى الصخرية الملتفة حول  
الهضبة الخصيبة التى أوت إليها النواة الأولى التى تكون منها الشعب الحبشى وأن  
هذا الهامش الصخرى الأجرد الخالى من كل عناصر الحياة ومظاهرها ليتسع  
حتى يبلغ ثلثماية ميلاً أحياناً فهو نطاق فظيع قاسٍ ضربته الطبيعة بيد من حديد  
وجعلته حائلاً لا يغلب ، عدو من الحجر الصلد ، وحارس لا ينام وان كان  
من جلمود الصخر .

وفى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتمتاز أمة عن  
الأخرى وتفضلها ، بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات  
وهاتيك المواقع ، ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الشدائد والملمات . فترى أمة  
يهولها اعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها ويضعف من نخوتها وينهك  
من قوة ارادتها ، وما تزال تنحط وتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك  
وهذه أمة غير صالحة للبقاء وعاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود ، وهى أمة  
كتب عليها الفناء وحكم عليها بالنفاد ، ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو  
حديثة عريقة أو طارئة ، متدينة بدين منزل أو وثنية شرقية كانت أو غربية .  
وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية  
كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها القرباء ، تثيقظ فيها فكرة المجد  
كلما حاقت بها الأخطار وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها ادناءها  
من الموت . وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجربى فى أعوادها أمواه الحياة .  
ومن هذا النوع الثانى أمة اثيوبيا فقد كانت نتيجة احتكاكها أثناء القرن  
التاسع عشر احتكاكاً سياسياً ، تارة تسوق اليه الصداقة وطوراً يؤدى اليه



العداء مع ثلاث ممالك من أهم ممالك العالم ، وهُنَّ مصر و بريطانيا و إيطاليا ان أفادت الحبشة من التقييل والضم مرة والتصادم والتلاحم أخرى ، والرمى بالورد والهدايا تارة ، والتراشق بالنبال والسهم طوراً ، انها جمعت كلمتها وملت شملها وتعلمت من سياسة هذه الدول الثلاث ، وقد كانت كل منها امبراطورية فى عصرها ومن ضروب سياستها وفنون حروبها ما جعلها فى نهاية القرن التاسع عشر تخرج ظافرة قاهرة غالبية فائزة رافعة علم الحرية تحت لواء منليك الأول أحد ملوكها وكان يعرف من قبل بملك شوا وقد صار نجاشى الحبشة وأمبراطورها بعد أن أخضع تيجريه ولاستا وأمهرا وجوجام وعناريا وجراجحة وولموا وجيما وغيرها وجوما وليكا وواليجا وكافا .

لقد كلفت الحبشة فى سبيل حياتها قرناً كاملاً فقد بدأت أوروبا تتدخل فى شؤونها سنة ١٨٠٥ ممثلة فى سياحة شخصين هما الفيكونت چورچ فالنتيا وكاتم أسرار هنى صولت وانتهت بمعركة عدوه التى هزمت فيها إيطاليا فى شخص الجنرالات باراتيرى والبرتونى واريوندى ودابورميدا .



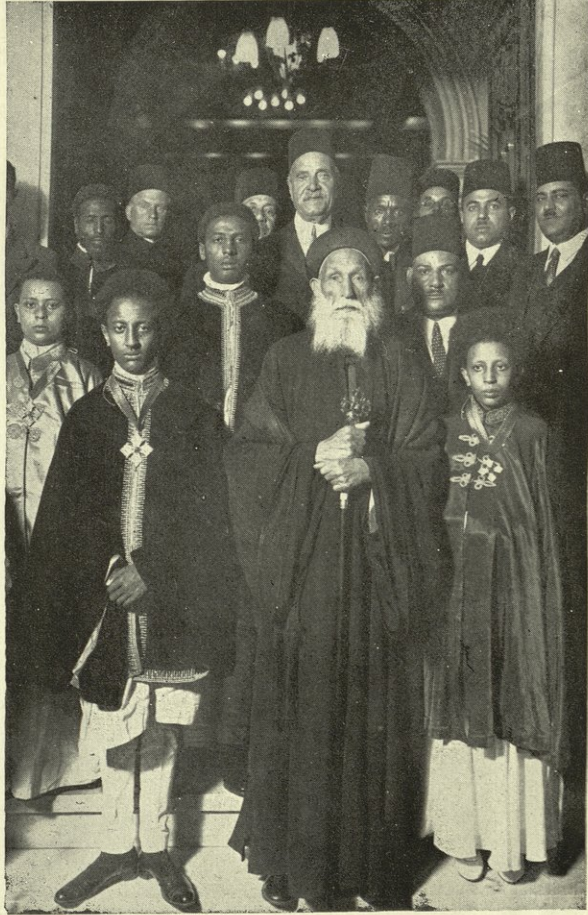
## ٤ — علاقة مصر بالحبشة وإيطاليا ومركز مصر من دائرة النزاع في عصبة الأمم وخارجها

ما فتىء المصريون من بداية هذا النزاع يظهر عطفهم نحو الحبشة لأن المصريين تناسوا أو نسوا معارك القرن الماضى واعتبروا الأحباش ناساً منهم لأن علاقة مصر بالحبشة قديمة جداً ، ولأن مسامى الحبشة يعدون مصر مركزاً روحياً لهم وهم ينتظرون من مصر الارشاد والعطف كما أن بطريك الأقباط فى مصر هو الرئيس الدينى للأحباش النصارى ومنهم الأسرة المالكة وأغلب رؤوس الدولة ، وفوق هذا فقد كان رئيس أساقفة الحبشة من أول عهد المسيحية حتى اليوم ينتخب من رجال الدين الأقباط وهو الآن الأنبا مرقص مطران الحبشة وأصله من بهجورة بجوار نجع حمادى . وهناك سبب آخر لاهتمام المصريين بشؤون الحبشة الحاضرة وهو أن سبعين فى المائة من مياه النيل مصدرها الحبشة عن طريق النيل الأزرق ونهر سو باط ومن الأمور الثابتة ان الأحباش لم يعشوا منذ فجر التاريخ حتى اليوم بمصالح مصر فيما يخص المياه التى تحتاج إليها وهذا جميل لا يمكن لمصر أن تنساه<sup>(١)</sup> .

ولا شك فى أن مصر ذات نفوذ معنوى عظيم ولكنها للأسف ليست عضواً فى جمعية الأمم ولو كانت هناك وسمع صوتها بجانب أصوات الأعضاء الآخرين لكانت بعض الدول التى تعتبر حروب الفتح مبررة بالأغراض القومية، ترددت قبل أن تجاهر بالعداء مجموعة من الشعوب فيها مصر المحترمة فى الشرق وفى أوروبا ولذكرت تلك الأمم ولا سيما إيطاليا ما بينها وبين مصر من المودة

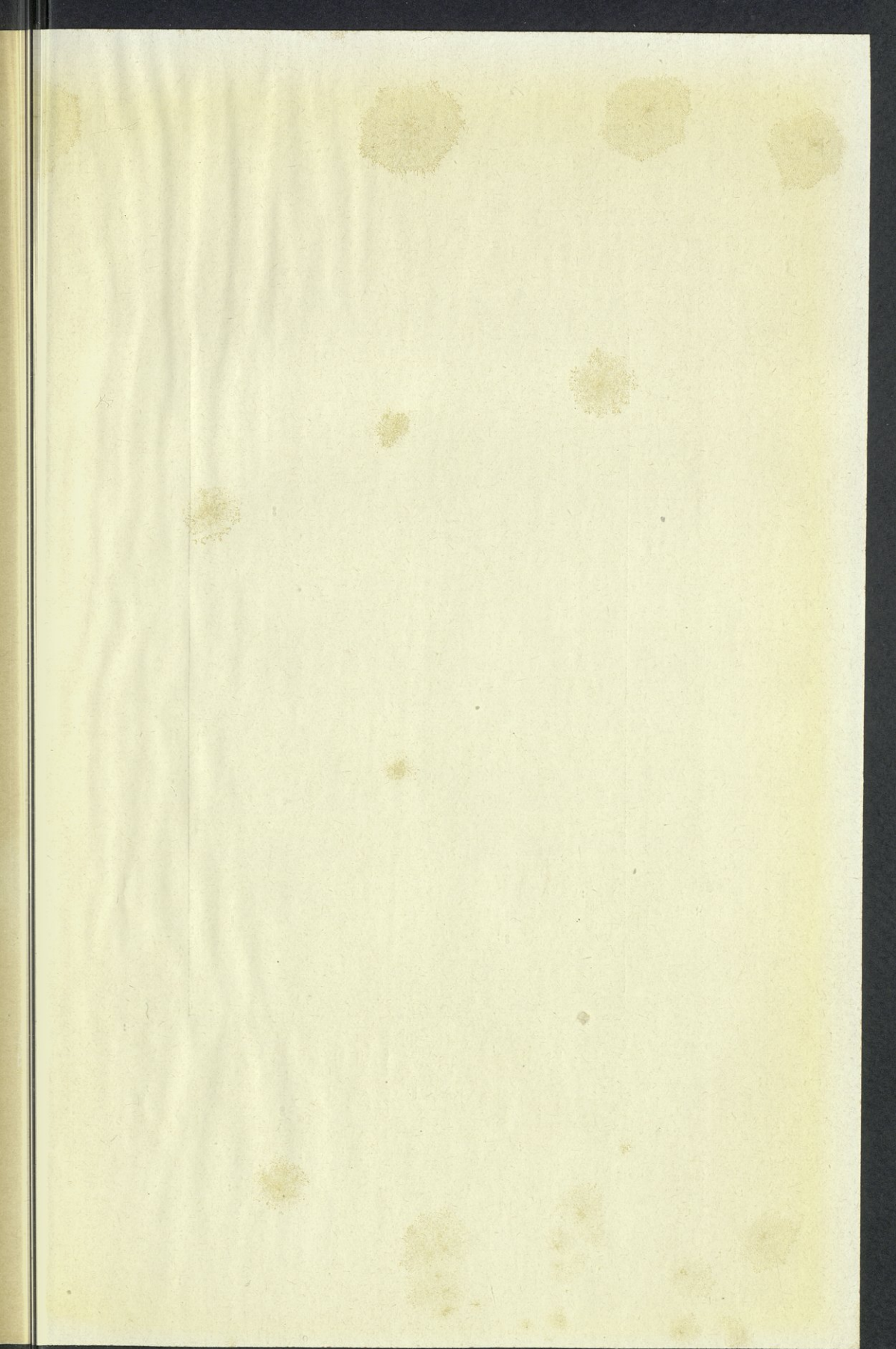
(١) من خطبة لعثمان محرم باشا وزير الأشغال سابقاً ألقاها فى لندن سبتمبر سنة ١٩٣٥





صاحب الغبطة الأنبا يونس بطريرك الأقباط  
وحوله بعض المطارنة والأعيان







والروابط التاريخية من قديم الزمان ، ولو كانت لمصر شخصية محترمة في جنيف لكان للقاهرة أرفع مقام في النزاع الحالى وكانت تصبح مصر عاصمة دولية تتجه اليها الأنظار وتشد اليها الرحال ، وتجتمع لديها كلمة الرجال وتمسى مفتاح الشرق الأدنى بلا جدل . ولا ريب عندنا في أنه لو كان لمصر هذا الحق لوقفت بجانب مبادئ العصبة دون أن تنظر الى كونها متفقة وسياسة انجلترا أو إيطاليا أو غيرها أم لا ، لأن مبادئ العصبة تضمن الحياة والحرية للأمم الصغيرة والأمم المغلوبة والأمم التي تطلب الحرية والأمم التي تقاوم الحرب وقد انضمت الى مبادئ هذه السياسة جهاراً حكومات عظمى مثل الولايات المتحدة وفرنسا وروسيا . ولا نشك لحظة في أن وجود مصر بالعصبة كان كفيلاً بمنع الحرب التي قد تمتد فتصير أوروبية فعلية ويكون تقصير الذين قصروا في حق مصر وفي حق العصبة سبباً في كارثة عالمية لا يعلم مداها إلا الله (١) .

هل مصر أقل من الأحباش أو المكسيك أو كولومبيا أو العراق أو الفرس ؟ نعم إذا تساوينا ، وفاقت مصر في بعض الشؤون ، إلا أن هذه الأمم تتميز باستقلالها القومي أو حكمها الذاتي ، أليست مصر دولة حرة ذات سيادة ؟ . . . ولو فرضنا أن هذا الاستقلال نظري ، ألا يعادل استقلال الهند أو كندا وكتلها عضو في العصبة !

وقد صدق من قال إن « مصر بلد في هذا الجانب من الشرق بمكان القلب للطائر يرفرف بجناحيه في افريقيا وآسيا ، وبذيله على قلب القارة السوداء » (٢) «

(١) جاء في خطبة العرش سنة ١٩٢٦ « ستسعى الحكومة المصرية سعيها للاندماج في عصبة الأمم لتظفر بقسطها من الاشتراك في الحياة الدولية »

(٢) الاستاذ عبد الرحمن عزام أحد أبطال حرب طرابلس وعضو مجلس النواب المصرى سابقاً .



## ٥ — عصبة الأمم والمشكلة الحبشية

ان المشكلة الحبشية أعرض مسألة عاجتها جامعة الأمم منذ وجودها ، وبقاء هذه العصبة أو زوالها ، رهينان بنجاحها أو فشلها ، في الوصول إلى نتيجة تؤيدها وتعيد هيتها ، في نفوس الأمم والحكومات . فان لم تصل إلى هذه الغاية من استتباب السلام العالمى وتحقيق الأمن بين الأمم ، فعليها العفاء ، لا عليها السلام ! وترجع تلك المشكلة في صورتها الحديثة إلى مسائل معلقة خاصة بتعيين الحدود والمنطقة المحايدة بينهما ، وطلب إيطاليا الخاص بتعويض عن حادثة « وال وال » وتفسيرها لنصوص معاهدتى ١٩٠٦ و ١٩٢٥ تفسيراً يخالف ما تذهب إليه الحبشة . وقد دارت في أول الأمر بين الدولتين ( وهما عضوان في عصبة الأمم ) مفاوضات سلمية ، بقصد تسوية النزاع بينهما تارة في روما وطوراً في الحبشة نفسها ، وكانت هذه المفاوضات تنجح حيناً ، وحيناً يبدو عليها الحبوط ، وطريقها بتبادل الآراء بين مندوبين مفوضين من المملكتين بالمذكرات المكتوبة . وبدأت في أواخر فبراير وأوائل مارس سنة ١٩٣٥ وإن كان النزاع يرجع إلى أوائل سنة ١٩٣٤ ومنذ الساعة الأولى القت الحبشة اللوم على كاهل إيطاليا كما اندرت المفاوضات بالفشل . وصرح ممثل النجاشى بأن لا وسيلة لنجاح المفاوضات وضمان السلم غير عدول إيطاليا عن خطة المعاندة ورغبتها الأجحاف بحقوق الحبشة ، وطلبت الحبشة تحقيقاً عادلاً قبل المناقشة في مطالب إيطاليا ، وأصرت في مذكرة بعثت بها إلى روما على طلب جواب صريح عما إذا كانت مستعدة لعرض المسألة كلها على التحكيم الدولى ؟ وتشبثت الحبشة بهذا الطلب العادل لأنه ينطبق أولاً : على روح العصر الجديد في السياسة الدولية ، ويتفق مع



دستور عصبة الأمم ، الذى أقرته الدولتان بالإضمام إليها ، وتشبثت إيطاليا بمعارضة طلب التحكيم . وقالت الحبشة : « لو كانت إيطاليا على حق ما عارضت فى التحكيم ، وإذا صح أن أثق بالحكمين وأضع حظى فى أيديهم ، فليس لدى إيطاليا ما يمنعها من سلوك خطة تماثل خطى » وكانت إيطاليا من قبل شهر فبراير بل من أواخر سنة ١٩٣٤ قد اتخذت تدابير عظيمة ، ولا سيما من الوجهة العسكرية فقابلت اصرار الحبشة على التحكيم بالامتناع وانكرت عليها اعتبار النزاع بين الدولتين من اختصاص عصبة الأمم ، لأنها شعرت بأن الحبشة تريد استدراج إيطاليا إلى مجلس عصبة الأمم الذى اجتمع فى شهر مايو وقد استنتج كثير من رجال السياسة أن الحبشة لا بد أن تكون مرتكنة فى تلك الخطة إلى بعض الدول العظمى وأن بريطانيا فى مقدمتها .

وكان ما قيل عن استعداد إيطاليا العظيم صحيحاً فانها بدأت بارسال الطائرات الحربية إلى الصومال فى أواخر ابريل غادرت طائرة حربية مائية ايطاليا قاصدة إلى مصوع عن طريق مصر وهى تقل الجنرال بينا والكولونيل كابا والقومندان جورانو والكابتن فيورى من ضباط الجيش الايطالى ومنها الطائرة الكبرى التى كانت تقل نخبة من عظامها وسقطت فى جوار القطر المصرى بمن فيها من العضاء وما فيها من الوثائق .

ويظهر أن ايطاليا رأت أن تجمع بين أمرين الأول الاستمرار فى الاستعداد استعداداً عظيماً لم يسبق له مثيل فى تاريخها والثانى موافقة الحبشة على طرح المشكلة على بساط التحكيم

وعلى الرغم من موافقة ايطاليا<sup>(١)</sup> على التحكيم فما زال الريب والتشاؤم

---

(١) أرسلت ايطاليا عشرة آلاف عسكرى فى يوم واحد وهو ١٩٣٥/٩/٢٩



مخيمين على الأفكار في عاصمة الأحباش واعتقد الكثيرون منهم أن إيطاليا أعلنت موافقتها على التحكيم لكي تمنع صوت الحبشة من الوصول إلى مجلس عصبة الأمم . ولذا عقت إيطاليا على الموافقة بالتسوية والمطل في تأليف لجنة التحكيم وهي تحاول حصر مهمة اللجنة في نطاق حادثة ( وال وال ) في حين أن الحبشة تصر على معالجة مسألة الحدود بخلافيرها ودفعة واحدة . وأخذ الأحباش يعتقدون أن إيطاليا لن تبقى على مسالمتها ولينها ونعومتها ، بعد أن يصفوها الجو في أوربا ، وتسنع لها فرصة مناسبة ولذا رأى النجاشي نفسه مضطراً إلى التخلي عن خطته السابقة ، من إهمال القيام باستعدادات عسكرية ، وان كلفته وحكومته ما لا يطاقه وما لا يرغبان فيه من بذل مال وتضحية برجال .

وفي تلك الفترة ( أوائل مايو سنة ١٩٣٥ ) خطب سنيور سافير بوفيرا النائب الإيطالي في المجلس فقال :

« إذا كانت إيطاليا لا تطرح اليوم ، مسألة الحبشة على بساط البحث ، فستضطر غداً إلى بسطها بالنظر ، إلى عدم كفاءتها في إدخال الحضارة والمدنية إلى بلادها الواسعة<sup>(١)</sup> وأن فرنسا وبريطانيا تقدران المهمة التي أخذتها إيطاليا على عاتقها لكي تدفع في تلك البلاد عن كرامة العالم المتحضر والكرامة الوطنية » .

وكانت إيطاليا لا تزال تقول بواجبها نحو الإنسانية والمدنية وتتخذ من هذا الواجب ذريعة للحرب والاستيلاء على البلاد .

ولم تصدر الحقائق الرائعة عن دخيلة أفكار إيطاليا في الاستعمار إلا عن لسان السنيور موسوليني الذي صرح في خطب رنانة أن إيطاليا تريد الأرض للاستعمار وتريد إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية<sup>(٢)</sup> .

(١) تريد مساحة الحبشة عن إيطاليا أربعة أضعاف (٢) لقد حازت إنجلترا أعجاب العالم لجمعها كلمة الامم على إيطاليا لنصرة الحق عن طريق السياسة لا الحرب .



وكما هي العادة في مثل هذه الظروف أخذت المصادر الإيطالية تدّيع أن جنوداً إيطالية قتلوا وسلبوا في الاريتريا وأن قاتليهم من الأحباش . كما أذيع بعد ذلك أن العلم الإيطالي أهين وأن موظفاً إيطالياً كبيراً اعتدى عليه في محطة السكة الحديد . وكان شيء أبسط من هذا بكثير سبباً في الحرب بين أوروبا والشرق فإن فرنسا حاربت الجزائر واحتلتها لأن الداي ( أمير البلاد ) دأب سفير فرنسا على وجهه بمروحة خفيفة كانت في يده .

نقول ولما فكر النجاشي في الاستعداد للطوارئ ولم يندع بظواهر الأمور اتصلت حكومته ورجاله ببعض البلاد الأوربية لتصدير الأسلحة إليها . وكان لإيطاليا عيون وارصاد فأصبحت بواسطتهم على بينة من تقديم المعدات الحربية إلى الحبشة ومن مصادرها والوسطاء بين هذه المصادر والحبشة فبذلت المساعي لدى الحكومات التي أغضت عن إرسال هذه المعدات وبدأ السنيور جايدا في جريدة « جوونالي ديطاليا » يهدد من طرف خفي ويقول : « ان صداقة إيطاليا تتوقف على الخطة التي تتبعها كل دولة أو بلد بأزاء ارسال المعدات الحربية إلى الحبشة » وقال سنيور شاتس في تقرير الميزانية الذي قدم لمجلس الشيوخ « ان المعركة بين الغرب والشرق ستدور في أفريقيا » ثم أخذت إيطاليا تحتج علناً على ألمانيا لأنها ساعدت على تصدير السلاح إلى الحبشة ، وأطلقت الصحافة الإيطالية لنفسها العنان ، فأخذت تنشر المقالات العنيفة ضد الحبشة وضد كل من يظهر بتعصيدها<sup>(١)</sup> .

والذي أدهش العالم أن إيطاليا كانت تلوم الحبشة على التسليح ، وتعاتب ألمانيا على معوتها ، وهي في الوقت نفسه تكوم الأسلحة والذخيرة تكويمياً في

---

(١) رفع الخطر عن الحبشة بقرار عصبة الأمم في ١٢ أكتوبر ووصلت إليها الأسلحة



الاريتريا . فكأنها تستحل أن تتأهب بكل الوسائل لتهاجم وتأتى على الحبشة أن تستعد لتدافع عن نفسها ولو كان استعدادها ضئيلاً مع الفارق بين الدولتين . وفي أواسط مايو بدأ الرأى العام المحايد فى أوروبا ، داخل العصبية وخارجها يزداد اقتناعاً بأن إيطاليا تريد على كل حال أن تحل بالسيف والمدفع أموراً كان يمكن حلها بالطرق السلمية ، وبدأ هذا الاقتناع يزيد القلق فى العالم .

ومن سوء الحظ أن الدول الأوروبية بدأت فى سنة ١٩٣٥ تهتم اهتماماً عملياً بتنظيم جهاز لضمان السلم فى أوروبا على مبادئ عصبة الامم فتغادرها إيطاليا لتمضى فى مغامرة لا خير فيها . وأمسى « حادث الحدود البسيط » يتضخم حتى اتخذ شكل محاولة تقوم بها دولة أوروبية كبيرة للتوسع الاستعمارى فى جهة من أفريقيا يعرف العالم كله أنها كانت تتمنى التوسع فيها منذ عهد بعيد . وبدأت الصحف الأوروبية تقدم لإيطاليا النصائح بشأن المصاعب العسكرية والمالية والسياسية سعيّاً وراء كبح مطامعها الاستعمارية وعابوا عليها أنها تطلب مطالب قانونية بحملة عسكرية وبدأوا يقولون إن حرباً استعمارية كهذه تستنزف دم الجيش الايطالى وتترك إيطاليا هزيلة وتعجزها عن علاج مشاكل أوروبا مهمة مثل مشكلة النمسا .

وسلك سنيور جايدا فى جريدة جورنالى دى إيطاليا<sup>(١)</sup> «مسلكاً خطأ» فأخذ يوجه نقده نحو مسترايدن أنطونى لأنه يمثل انجلترا لدى عصبة الامم ، ويفضح أموراً قال أنها حدثت فى حروب انجلترا الاستعمارية فى جنوب أفريقيا ومصر والسودان ويعيب على انجلترا أنها تغير إيطاليا بما كانت تبيحه لنفسها بالأمس . وقد أفضى النزاع الحبشى الى وجود اختلاف جوهرى فى الرأى بين إيطاليا

---

(١) يعد فى أوروبا روح الشر الذى أوحى الى الزعيم هذه المغامرة .



وانجلترا فتبددت الجبهة المتحدة التي تحققت في ستريزا تبداً تاماً . وأخذت إيطاليا تحشد الجنود حتى بلغ ما جمعته مليون جندي تحت السلاح . وفي الثلث الأول من يونيو اقترح السير نورمان انجيل اقفال قناة السويس في وجه إيطاليا وهو كاتب انجليزي نال جائزة نوبل في العام الماضي ( ٣٤ ) لدعايته للسلم وهو صاحب كتاب « الوهم العظيم » الذي ألفه قبل الحرب الكبرى وتنبأ فيه بأن حال الامم المنتصرة في الحروب الحديثة لن تفضل حال الامم المهزومة . وحققت الحرب العظمى جميع تكهناته <sup>(١)</sup> .

وفي أواخر يونيو تشكلت لجنة للتحكيم واجتمعت في لاهاي ، وهي لجنة مختلطة . وقال الحبشان أنه إذا قضى المحكمون المكلفون البحث في تسوية النزاع بحكم ضد الحبشة فانها تصدر تصريحاً تكون فيه ترضية لإيطاليا .

وأخذ الدوتشي يخطب في الملايين متهدداً ومتوعداً ، ويرد النجاشي بخطب قومية متواضعة ، قوامها الصلاة والبكاء والاستغاثة بالله والأنبياء والقديسين ، والاستنجد بأوروبا وأمريكا المتمدينتين حتى في الأعياد والحفلات الدينية .

ومن كلماته في آخر يونيو :

« أنا أتحدى أي إنسان أن يبين لي أية ناحية أخلت فيها الحبشة بواجبها كعضو في عصبة الأمم منذ ظهر هذا النزاع ، وأي عمل من أعمالنا استثار هذه الحرب ؟ إذا كان الحق في جانبنا ، وإذا كانت الأمم المتمدنة عاجزة عن منع الحرب فلنتقف على الأقل موقفاً لا يمنعنا عن الدفاع عن أنفسنا » .

وأخيراً فشلت لجنة التحكيم في لاهاي وهي التي نص في معاهدة الدولتين ( الحبشة وإيطاليا ) في سنة ١٩٢٨ على أن تكون مؤلفة من مندوبين عن كل

(١) اجتمعت المصادر المختصة والعليمة بأن القناة لا يجوز اقفالها ما لم يكن عقوبة صريحة اجماعية



دولة منهما ، ومنذوب يختار من احدى البلاد المحايدة . وطالما تعبت انجلترا وفرنسا في التعجيل بتشكيل لجنة التوفيق وهما تعتقدان الخير في أن الإسراع بتشكيلها<sup>(١)</sup> . ولما كان الشعب الانجليزى مفرطاً في تقديس الحرية لأفراده ولا يتقيد أحد منهم بآراء غيره ولو كان أقرب الناس إليه . فقد رأينا سير چون سيمون وزير الخارجية يسير في سياسة غايتها انصاف الحبشة واحقاق حقها وفي الوقت نفسه تتقدم لادى چون سيمون زوجته في جريدة « جورنالى ديتاليا » بمقال تصف فيه فظاعة النخاسة التى ترتكب في الحبشة ، ولكن على الرغم من مقالة لادى سيمون فان بيوتاً مالية كثيرة على شاطئ الأطلنطى تقدمت تعرض قروضاً ضخمة على الحبشة وتقدم لها ألوف المتطوعين بغير أجر ، من أمريكا وإيرلاندا ومصر واليابان وألمانيا وتركيا . وقامت بشأن اليابان ضخمة منذ زمن طويل ، فقد أشيع أنهم يفكرون في مصاهرة النجاشى وأنهم يدرّبون الأحباش على حرب السيوف ، وأن لهم مصالح خطيرة في الحبشة تجارية وزراعية واقتصادية ولذا هاج سخط الطليان على اليابان . فقال بعض ذوى رأى فيهم أن مسلك اليابان بمثابة تحد لسطان الاستعمار الاسيوى للأجناس البيضاء ، وأن تعاون الغربيين ضد هذا الخطر الأصفر أمر لازم ، كل هذا حاصل ودائر وإيطاليا تريد اتقاء تدخل عصبة الأمم ، والزعيم يصرح بذلك فيقول : « إن إيطاليا ترفض تدخل العصبة في الخلاف بيننا وبين الحبشة وستقوم بانفاذ رغبتنا ومطلبنا مع اليقظة السياسية والحرية ودون اهمال الحال في أوروبا » .

وفي أواخر يونيو نشأت حالة جديدة خطيرة وهى أن انجلترا خشيت شقاقاً يدب بينها وبين فرنسا لأنها رأت لها ضلعاً قوياً مع إيطاليا وما زال «الدوتشى»<sup>(١)</sup> ثبت أن المفاوضات وتأليف اللجان قد فشلت حيال النيات المبينة ما دام صاحبها يجهر بأن القوة فوق الحق .



يفتن موسيو لافال ويتودد اليه ويعاهده ويعقد معه المواثيق ويذكره بتضحية  
ايطاليا في الحرب العظمى بانضمامها لجانب الحلفاء واكثراتها الحاضر بحماية حدود  
فرنسا الشرقية فأرادت انجلترا أن تضمن اتحاد فرنسا معها في عرض المسألة على  
عصبة الأمم وتنفيذ ميثاق العصبة بنصوصه . وقد زاد التقرب بين الدولتين أن  
ايطاليا أخذت تعرض كل يوم مطالب جديدة وشروطاً لم يسبق فخصها وهي  
تظهر أن الامتيازات المقترحة منحها لا تكفيها ثم هي تلح في طلب معونة مالية  
يصعب تقديمها لأن الدول لا تريد تعضيدها على الحرب بالقروض . وكانت  
ايطاليا تخشى عصبة الأمم لأنها تخشى تحول الرأي العام العالمى ضدها إذ يظهر  
له من خلال البطؤ الذى تقتضيه اجراءات عصبة الأمم أن القضية الايطالية غير  
عادلة لدى فخصها من وجهة القانون الدولى . ومن ذلك التاريخ ساءت الحالة  
المالية فى ايطاليا ، ولم تغطِ الحكومة أوراق النقد بنسبة أربعين فى المائة من  
الذهب وسقطت قيمة الليرة الايطالية فى الأسواق الخارجية .

وفى تلك الفترة بدأ سنيور جايدا خطة سيحكم التاريخ بخطأها وهى الحملة  
التي حملها ضد بريطانيا ونشر ما ظنه افشاء أسرارها الاستعمارية وهى أمور ثابتة  
فى الكتب والصحف منذ عشرات السنين ، ولا تهم أحداً سوى انجلترا والأمم  
التي لها بها علاقة ، وان صح له أن يذكر حوادث حرب البوير أو الصومال  
أو محاربة الملا<sup>(١)</sup> المفتون فلماذا لم تتدخل ايطاليا فى ذلك العهد لنصرة البوير  
أو الصومال فكان دفاعها يسجل لها بمجداد الفخر والثناء .

وبلغت هذه الحملة أشدها عندما نشرت حكومة روما بياناً شبيهاً بالرسمى  
قالت فيه « أن صحف انجلترا تتأسف أن بريطانيا قد حصلت على امبراطوريتها  
العظيمة بغير تردد حتى أنها كثيراً ما وطأت تحت أقدامها صنوف الشعوب

---

(١) لم يكن مفتوناً بل كان زعيماً عاقلاً ووصف بالفتنة قليلاً لشأنه .



الأخرى وهى الآن تحاول الدفاع عن مصالح الحبشة المتوحشة ( كذا ) ضد الحكم  
الامبراطورى الايطالى وهذا الدفاع يؤثر فى الصداقة بيننا ( ايطاليا وانجلترا )  
بدرجة شديدة (١) »

وقد أدّى طعن ايطاليا فى مسلك اليابان إلى مظاهرات عنيفة فى شوارع  
طوكيو ضد ايطاليا وأخيراً تورطت ايطاليا فقبلت عرض المسألة على مجلس عصبة  
الأمم وقيل عن بعض المصادر أنها رضيت بذلك لأنه يكسبها وقتاً لتام الاستعداد  
مع أنها تشحن فى كل يوم بواخر حوافل بالجند والعتاد

وقد دفعت نحو مليون جنيه لشركة قنال السويس رسوماً لمرور السفن  
الحملة رجالاً وسلاحاً وذخائر وكان قرارها هذا فى آخر يوليو وقد عينت أعضاء  
وفدها فى العصبة وهم بارون الوازى وسنيور جوارناشكىلى وكونت بيترو ماركو  
وسنيور كورتيزى والأستاذين ليسونى و بيراردى .

أما الانجليز فقد جعلوا على رأس وفدهم مستر أنتونى إيدن الذى تمتته  
ايطاليا ويحمل عليه سنيور جايدا فى جريدته صباح مساء وشدت أزره  
بوليم سترانچ ووليم مالكن وتومسون . وفرنسا يمثلها لا فال وبعض أعوانه وقد  
أخذت انجلترا تصرف جهوداً جبارة فى اكتساب فرنسا لصف العصبة وصار  
مركز لا فال من أخرج المواقف لأنه أمسى كزوج الضرتين يتراوح قلبه بين الاثنين  
ووراء والد إحداها يسوقه بالسياط وهو مجلس النواب الفرنسى فانه يأبى أن  
يعضد لا فال ايطاليا على الحرب فتسقطه أحزاب الشمال بين عشية وضحاها .

وقد طارت فى جو مصر أثناء تلك الفترة أكثر من أربعين طائرة حربية  
ايطالية إلى الصومال وارىتريا غير التى تشحن مفككة لتركب فى موطنها

(١) ظهرت قيمة هذا التهديد عند ما طلب الزعيم فى ١٦ أكتوبر سحب الاسطول  
البريطانى مقابل سحبه جنوده من ليبيا .



وأخيراً قررت العصبة أن مجلسها سيجتمع في يوم ٤ سبتمبر لبحث مسألة الحبشة بمخافيرها ، ولم تصرح إيطاليا بأنها لن تلجأ إلى القوة بل أبدت تحفظاً أزاء هذا القرار يدل على أنها لم توافق صراحة على أن يبحث المجلس في المسألة الحبشية بجميع وجوها في يوم ٤ سبتمبر . وقد شعرت الحبشة أن إيطاليا تريد أن تكتسب الوقت فأخذت تستعد من جانبها وترسل جنودها إلى الجنوب والشمال ووقعت الحبشة مع اليابان عقداً في ٢ أغسطس لتوريد مقدار هائل من الأسلحة والذخائر للتعجيل بتزويد الجيش بالعدة الحديثة واشترت الحبشة في أسواق طوكيو ألوفاً من الأسياف اليابانية المرفهة . وما زال الرأي العام في أوربا يؤيد الحبشة حتى قامت مظاهرات لتعريضها في معرض بروكسل بلجيكا فخطب أحد الخطباء وقال :

« لقد عاد خطر الحرب وأخذت الفاشستية الإيطالية تتأهب لاضرام النار واهراق الدماء في الحبشة التي يريد شعبها أن يعيش في ظل السلم والحرية » وكانت هذه الخطبة أمام الجناح الإيطالي وأراد بعض المتظاهرين أن يحطم صورة بعض رموز الأمانى الإيطالية ، وفي الحق أن اجتماع مجلس عصبة الأمم في أوائل أغسطس لم يسفر عن شيء سوى تأجيل خطر المشكلة شهراً

وبدأ رجال السياسة الأوروبية في دوائر العصبة وأروقتها يتكلمون عن توقيع العقوبات التي ينص عليها الميثاق ، وظن بعضهم أنها حرية ، وآخرون يحسبون أنها اقتصادية . وذكروا في عرضها اقفال قنال السويس ، أو حصر إيطاليا حصراً بحرياً ، أو مقاطعتها اقتصادياً ومالياً<sup>(١)</sup> . وبدأت انجلترا تحرك

---

(١) تقررر المقاطعة الاقتصادية يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٥ .



لسانها ويدها فخطب مستر أنطوني ايدن بالراديو ، وأنذر إيطاليا بالعقوبات في حالة ظهورها بمظهر العناد .

وفي خلال شهر أغسطس ازدادت الحال تخرجاً بين بريطانيا وإيطاليا ، وشعرت بريطانيا بدنو موعد انعقاد مجلس عصبة الأمم في ٤ سبتمبر وضرورة الانتهاء بتصميم ذى خطورة ، كما أحست بتأخرها في التأهب لمقابلة الحوادث بعد أن استعدت إيطاليا استعداداً مهولاً في الجو والبر والبحر . فأخذت تحشد أسطولها في البحر الأبيض ، وتتخذ لطائراتها أماكن ثابتة ، وانشغلت بإحكام اقفال جبل طارق ، وتأمين جزر البحر الأبيض الواقعة تحت حكمها . وكان هذا الاستعداد البحري العظيم رداً على مذكرة السنيور موسوليني للعصبة وهي مستند ضخم أوضح فيه بتفصيل مُميل أطوار الخصومة المزعومة ، وصنوف الاعتدالات التي يقول أنها وقعت من الحبشة خلال مدة طويلة ، وهذه المذكرة مصحوبة بصور فوتوغرافية . ومن الاستعدادات المهمة الإيطالية ربط روما بأريتريا تليفونياً ، وإعداد أسطول جوى ضخم ، وإذاعة أنباء مروعة عن حرب الغازات والجراثيم ، واختراع أشعة سرية تسمى أشعة الموت يحركها ماركوني كيف شاء فيقتل الخلائق ، ولكن هذا الخبر يحمل عناصر اختلاقه<sup>(١)</sup> .

ومذ بدأت بريطانيا مظاهراتها البحرية والجوية ، أخذت تنتشر شائعات عن امكان اتقاء الحرب وتقهر إيطاليا ، وقبولها بامتيازات اقتصادية أقل من الانتداب لتعوض عليها خسارتها ( ؟ ! ! ) في البر والبحر . فشل المؤتمر الثلاثي في باريس وهو الهيئة التحكيمية الثانية التي فشلت . أولاً اللجنة المختلطة ( لاهاى ) وهذه هي الثانية .

(١) تفضل العلامة ماركوني بتكذيب هذه الشائعة المزججة بلطف ولباقة في ٢٠



وما زالت فرنسا وبريطانيا على استعداد لبذل الجهود لتسوية الخلاف بين الدولتين . ورجال العصبة يذكرون أن شعوب العالم جاهدت في السنين التي تلت الحرب بجد واخلاص لايجاد عهد دولي جديد يقيها شر ويلات الحروب لأن الحرب هي العدو الألد لكل تقدم . وكانت إيطاليا في مقدمة الامم التي سعت هذا السعي المشكور وعقدت في بلادها مؤتمرات السلام مثل رايالو ولوكارنو وكيلوج وستريزا وقطعت معظم الدول على نفسها عهداً في ميثاق باريس بالعدول عن اتخاذ الحرب أداة للسياسة الوطنية وعلى هذا الرأي كان مندوبو انجلترا وفرنسا الا مندوب إيطاليا فقد قدم بياناً قوامه ٥٠٠٠ كلمة كلها مطاعن قاسية في الحبشة وأيد مطاعنه بتقرير لوجارد وبعض ما كتبه لادى سيمون خاصاً بتجارة الرقيق وأن الحبشة تعتدى على أرواح الطليان وأموالهم وتمتد أقدامهم الى حدود الأراضي الإيطالية ورد مندوب الحبشة على تهمة إيطاليا ونفاها وفندها وقد عدّ بعضها بمثابة اعلان حرب من إيطاليا على الحبشة .

وكانت ألمانيا تلزم الصمت وتقول صحافتها إن السياسة الألمانية لا علاقة لها بالمشكلة الحبشية ولكن المسألة تهمة من وجهة أخرى وهي ضرورة السلم واليسر في البلدان الاخرى لتتمكن ألمانيا من عمل التجديد الوطنى في بلادها ولكن العالم كله يعلم أن ألمانيا متربصة بإيطاليا والنمسا فاذا أعلنت الحرب مدت يدها الى النمسا وضمتها اليها وحقت حلم النازى وحلم بيسمارك وحلم الجامعة الألمانية فتصبح دولة الرايش أقوى مملكة في أوروبا ولا يغنى إيطاليا عن ذلك استعدادها على الحدود النمساوية وحشد جنودها كما فعلت في العام الغابر عند الثورة النمساوية . وبعض رجال السياسة على رأى خاص في عصبة الامم وخططها وما أصابها من ضروب الفشل وما ارتكبه من الأغلاط في أساليب عملها بتعكج جو الثقة بين الدول فصارت تتدلل عليها وتهدها بالانسحاب بل وتنسحب فعلاً كلما حاولت أن تنفذ خططها القومية كما فعلت اليابان وألمانيا .



وفي الوقت الذي اتحدت فيه كلمة أوربا على انصاف الحبشة كان المسلمون فيها يعاهدون امبراطورهم على الدفاع عن الوطن ، وقد أشاع البعض في مصر أن المسلمين مضطهدون في أثيوبيا وأنهم رازحون تحت مظالم الاضطهاد الحبشي الذي منشأه التعصب الديني وفي أواسط الصيف اجتمعت الجمعية الوطنية الإسلامية في الحبشة وقررت مقابلة النجاشي وعرض خدمتهم العسكرية الوطنية على جلالته بشرط تسليحهم وتدريبهم تدريباً حريياً ومساواتهم باخوانهم النصاري في بعض الحقوق . وهكذا صح ما قلناه في غير هذا الموطن من الكتاب من أن حروب الدول في الحبشة ساعدت على تكوينها واتحاد عناصرها .

وفي يوم ١١ سبتمبر اجتمع مجلس العصبة وألقى سير صموئيل هور خطاباً يعد من أخطر ما فاه به رجال السياسة في هذا العام وهو من نوع الخطب التي كان يلقيها ستر زمان <sup>(١)</sup> و بريان <sup>(٢)</sup> ومن أقواله « أن الرأي العام البريطاني بصرف النظر عن بعض أخطاء قومية و بعض النقاط الضعيفة التي ظهرت فيه أحياناً كان عادة يبدي بداهة سديدة في المسائل الكبيرة الأهمية وفي حالة الأزمات الخطيرة يعرب عن صدق العزيمة والميل إلى الإنصاف واصالة الرأي والشعب البريطاني يدعم العصبة لأن نظامها يكفل السلام العام ، وان نظام عصبة الأمم هو أسمى فكرة في تاريخ البشر ، وتحقيقه ليس من الأمور الهينة حتى في أكثر الأحوال ملائمة . وكان شعبنا يعمل ، ولا يزال ، لترقية الحكم الذاتي وتميمته في دائرة الامبراطورية ، وكنت منذ أسابيع الواسطة في حمل البرلمان البريطاني على اقرار مشروع عظيم متشعب الأبواب للحكم الذاتي في الهند . وللأمم الصغيرة الحق في الحياة التي تحلوها ولها الحق في صيانة حقوقها والأمم سواسية ، وفي وسعها أن تساعد مساعدة قيمة لخير الإنسانية ، ونعتقد (أي الشعب البريطاني)

(١) وزير ألماني علّقوا على سياسته آمالاً كبيراً للسلام ولكن الموت قطع عليه خط الرجعة

(٢) وزير فرنسي حل محل الاول في عصبة الامم ومات فضاقت آماله .



أن للأمم التي لا تزال متأخرة في مضمار الحضارة الحق في أن تتوقع من دون مساس باستقلالها والاعتداء على حدودها أن تقدم إليها المساعدة من الأمم التي هي أرقى منها على ترقية مواردها الطبيعية وتدعيم حياتها القومية<sup>(١)</sup> وأن الخوف من احتكار المواد الخام لأحدى الدول أو بعضها هو المعضلة الحقيقية وسبب النزاع العالمي هو اقتصادي محض . ولا يجوز لنا أن نتغافل أو ننسى أن المشاكل الحالية اقتصادية أكثر منها سياسية<sup>(٢)</sup> . فرأى الحكومة البريطانية هو هذا وهو الخوف من الاحتكار والشعب البريطاني يؤيد العصبية بسبب ولأنه لها وحرصه على حياتها وانجلترا مستعدة لمقاومة كل اعتداء ولا تعدل سياستها ما دامت العصبية في الوجود .

وقد اقتبسنا الأفكار الجوهرية من خطبة سير سمويل هور لأنها أهم خطبة القيت في العصبية بعد خطب سترزمان وريان ويلفتنا فيها أنه أغفل ذكر الخلاف الناشب بين إيطاليا والحبشة ، ودار حول المسألة العالمية بلباقة ومهارة ، وقرر أن انجلترا شعباً وحكومة تعلم أن النزاع العالمي هو على «القوت» الذي أساسه المواد الخام في المستعمرات ، وأن انجلترا مستعدة لاعادة النظر في تقسيم هذه المواد بالعدل والانصاف ، وقد أفرغ نظريات الحرب العظمى الخاصة بحماية الأمم الضعيفة وحقها في الحياة في قالب لطيف ولكنه لم يجعلها أساس الكلام ، بل جعل يطمئن الأمم ذات المطامع على المواد الخام إلى درجة تقسيم الثروة العامة بين الجميع لازالة المخاوف وهذا تطور عجيب في السياسة الدولية وقد فطنت إيطاليا أو «الدوتشي» إلى مراعى هذه الخطبة البعيدة الغور .

(١) هذه النظرية تنقض نظرية الفاشيست لانهم يقولون إن الحبشة متأخرة ولا تستحق الحياة ولا تعتبر أمة ولا يليق أن تكون مستقلة أو عضواً في العصبية .

(٢) هذا وجه صحيح للمسألة وقد عالجناه في الكلام على المطامع الاستعمارية في فصل « تطور غارات الأمم » فجزمنا بأن الحرب المقبلة هي لاجل « الرغبة » ولم يكن سيرهور قد فاه بخطابه .



فتساءلت : هل انجلترا مستعدة لاعادة توزيع الانتدابات استعدادها لتوزيع المواد الخام ؟ وهذا المصدر نفسه يدهش لأن سيرهور تجاهل مسألة زيادة السكان في ايطاليا . وغاب عن هذا المصدر أن مسألة توزيع الخامات تجب مسألة زيادة النسل والغرض يغمض ويصم<sup>(١)</sup> . . .

ومما يدلنا على أن سيرهور كان أقرب إلى العدل ، ان رأى البريطاني انقسم في شأنه ونقده المتطرفون ولكن الطبقات الوسطى أعجبت به .

أما فيما يتعلق بالنزاع الجوهرى فان الساسة في العصبة أخذوا يملون طريقة تأليف اللجان ويحاولون حل المسألة عن يد مجلس العصبة مباشرة (البندان ١٥ و ١٥٤) وقد ضغط سيرهور على موسيو لاڤال حتى حدد موقفه تحديداً جلياً وانضم إلى العصبة وهو على أحر من الجمر لأنه لا يريد أن « يخون » ايطاليا ولم تنس له ايطاليا هذا الجميل بل قالت إنه بذل أقصى الجهد ولكنه خضع للتأثير المباشر . وكان مسلك « الدوتشى » في هذا كله أنه يزدرى الأساليب السياسية ويزدري القرارات الدولية ويريد أن يصل إلى غايته بكل الوسائل .

لم يكن سيرهور أفلاطونياً في خطبته ، بل عند ما كان صوته يهز أعواد المنابر في جنيف ، كانت البوارج والمدمرات وحاملات الطائرات والطرادات والغواصات البريطانية تجوب البحر الأبيض وتدنو من موانئه ، وتعد الدفاع عن الثغور والجزائر والشواطئ .

وفي تلك الفترة خشى « الدوتشى » من هجوم ألمانيا على النمسا أثناء حرب الحبشة ، فتقرب إلى برلين ، ليعقد محالفة « عدم تعدى » فكان ذلك سبباً في نفور رأى الفرنسى منه ، وهذا الذى حوّل « دَفَّة » موسيو لاڤال بالعصبة

(١) كتب سياسي كبير في جريدة أمريكية أن موسوليني فاته فرصة نادرة لوقف الحرب وسحب جيوشه والتمسك بوعده انجلترا في مسألة الخامات وكان حلاً يستر وجهه



ومن لطائف الموقف خطاب موسيو هاواريات مندوب الحبشة فقد دق على نعمة انجيلية وقال : « نحن شعب مسيحي نطلب السلام والمحبة مع كل الشعوب حتى الدول المخاصمة لنا<sup>(١)</sup> ونحن نؤمن بالبشرية . . وأن عصبة الأمم وضعت حداً للفتوحات . ويجب الوفاء لمبادئ الدين المسيحي . . نحن لم نخلق النخاسة ولكن ورثناها عن أجدادنا ، والعبيد أسعد من عمال المصانع . ولكن ندرك أن الحرية أفضل من السعادة » وفي نظرنا ومع عطفنا على الحبشة أن هذا الخطاب يعد غلطة سياسية ، وأننا نفهم الدافع لمندوب الحبشة على هذا الخطاب ونرثي له فإنه انما استنفر الشعور المسيحي ، واستصرخ الغرب واستنجد بأهم الحضارة لأنه يئس من الارتكان إلى القوة المسلحة أو كاد ، ولأنه ظن أن حظيرة عصبة الأمم أصغى أذناً وألين جانباً وأرق قلباً من وزارات الخارجية وسفارات دول أوروبا ، ولو أن بجواره في العصبة دولة ك مصر ، جارة إفريقية وصديقة شرقية لكانت له لهجة أخرى في الخطاب وأسلوب آخر في الجدل .

لأن زمن « الاستنجاج » قد مضى وانقضى<sup>(٢)</sup> . وعلى كل حال فقد نال سير هور بغيته من خطبته فقد جرت فرنسا إلى حظيرة العصبة وأقلقت بال إيطاليا وحازت ثناء الخصوم والمترددین حتى سوفيات روسيا أنفسهم ، ونفخت في روح الأحباش وانتظر العالم كلمة لا قال فقال ان العصبة وليدة آلام البشر وشيدت على الانقراض للحيولة دون الحرب وإيمان فرنسا بها لم يضعف لأن سياسة فرنسا قائمة على عهد العصبة وعطف على عهد سترتيزا وقال « اجتمعنا بالمندوبين البريطانيين ورأينا أن رئيس الحكومة الإيطالية يشعر بمثل ما نشعر به

(١) اقرأ « باركوا لاعتنكم ! » (٢) ماذا تريخ الحبشة من الخنوع والضعف ؟ ! وفي المثل المصرى العامى « ما بالميت موته ومابه زقة القبر » . . . وهذه الخطبة هي « زقة القبر » .



من الرغبة في تعزيز السلم ولا خلاف بيننا وبين بريطانيا في السياسة التي سنتبناها «  
وفي هذا الوقت جاء من أمريكا صوت مستر كودل هيل يذكر إيطاليا  
بميثاق كيلوج الذي وقعت عليه اثنتان وستون دولة . وأيده روزفلت وأعلن  
حياده ، كل هذا حادث وسنيور موسوليني يقول إن بريطانيا تعارضه لأنها تريد  
الاستيلاء على الحبشة !

وأثناء ذلك تحركت مسألة قنال السويس فكان الرأي القانوني هو على  
استمرار فتحها لجميع الدول في جميع الأوقات . ودعش العالم أجمع لأن مصر  
ذات الشأن العظيم في النزاع لا يسمع لها صوت في عصبة الأمم لأنها ليست  
عضواً فيها مع أن دولاً أصغر منها بمراحل تتمتع بالعضوية كفرنزويلا وارجواي  
وهذا أمر عجيب لأن سياسة مصر لم يحاولوا ذلك من سنة ١٩٢٢ مع أنه إذا  
حدثت حرب لن ترغم مصر على الدخول فيها فقط ، بل ستصير ميداناً فعلياً لها ،  
وقد دلت الاستعدادات في أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر على أن مصر  
تتوقع الحرب وتخشى الغازات الخائقة ونسف القنال وغزو إيطاليا من الحدود  
الغربية ونسف خزان أسوان<sup>(١)</sup> واشعال النار في مخازن البترول بالسويس  
( الناحية المعروفة عند أهل السويس بالزيتية ) وقد أخذت إيطاليا تستعد في  
الجزر الاثنتي عشرة وتحصنها وتلغم شواطئها مقابل استعداد انجلترا العظيم في  
البحر الأبيض . وتحمس الأحباش فألفوا فرقاً من النساء بقيادة الأميرة<sup>(٢)</sup> .  
ولا نظن أن دولة في التاريخ القديم أو الحديث نالت العطف الذي نالته  
الحبشة فان أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا تضافرت جميعها على نصرتها .

(١) خبر نشرته مجلة سياسية شهيرة وأكدت ارتكانها فيه على أوثق المصادر .

(٢) هذا يذكرنا بنساء العرب في الحروب في الجاهلية والاسلام .



ومن محاسن المصادفة أن الحبشة<sup>(١)</sup> لم تحرم من تعضيد بعض أبطال التاريخ الحديث أمثال ديقاليرا حاكم إيرلندا الشهير ورئيس دولتها فقد حضر مندوباً عن وطنه وهذا امتياز عظيم يقوم حجة على أعداء الحرية ، فولا استقلال إيرلندا الذى نالته بشق الأنفس ما استطاعت أن تقف بجانب الدول العظمى فى عصبة الأمم بل كانت لا تزال معدودة « مديرية أو محافظة » بريطانية . فخطب فقال : « ستقوم إيرلندا بواجبها كاملاً ، ليس الانسان وحشاً ضارياً وليس النصر دائماً للأقوى والأكثر شراسة . ( اقرأ بين السطور قوله أنظروا لنا وقارنوا ! ) إذا كان واحد من المعتدين تطلق يده والآخر تغل يده فخير لنا أن نعود إلى نظام المعاهدات السرية » . وهو يشير بذلك إلى منع السلاح عن الحبشة .

وحق مملكة ابن سعود الوهابية ( ولا تقول هذا استصغاراً لشأنها ، بل لبعدها عن حلبة الوغى ) عرضت معاوتها العسكرية لعصبة الأمم فى مقاومة التعدى الايطالى وبذلك يكون السنيور موسولينى قد فاز فى حشد كل الدول المسيحية والإسلامية والوثنية ضد إيطاليا فى الشرق الأدنى والأوسط والأقصى . لقد أسفر اجتماع العصبة عن تأليف لجنة خماسية لحل النزاع حلاً مباشراً نهائياً وعرض هذا الحل على الدولتين المتنازعتين فان قبلته حباً وكرامة ، وان رفضته إحداها تكأ كالأكل عليها لتهربها وارغامها . وقد أتمت اللجنة الفرعية عملها فى وضع التقرير بالمقترحات فى نصف شهر سبتمبر وقد بنى على أساس اقتراحات مؤتمر باريس التى رفضتها إيطاليا وقد وضع بالاجماع مع الحرص على سلامة حقوق السيادة القومية .

---

(١) تألفت فى اليابان جمعية لنصرة الحبشة فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ وأرسل إمام الين يمى بعثة خاصة تحمل ١٥ طناً من الهدايا وقد وافق الامام على عدم بيع الأنعام والحبوب لأعداء الحبشة ورفض رجاء الطليان أن ينقلوا جرحاهم إلى بلاده لأنه مجاهد .



وفي الوقت نفسه ذاع أن الحرب تعلن في آخر سبتمبر والرأى العام في الحبشة على أن زمن الخطب والمفاوضات قد انتهى وأن معين عصبة الأمم قد نصب وعجزها ظهر وثبت .

وقد رفضت إيطاليا جميع اقتراحات اللجنة الخامسة بغير تردد وهي تتلخص في أبطال الرقيق وتشجيع الاستثمار الاقتصادى لموارد الحبشة ورقابة الأمور المالية والضرائب الحبشية وتخلى إنجلترا وفرنسا عن شقة من الأرض في الصومال لإيطاليا واعطاء الحبشة منفذاً الى البحر . وفي ٢١ سبتمبر اجتمع وزراء إيطاليا وخطبهم الدوتشى ساعة وقرروا بعد المناقشة رفض الاقتراحات بأكملها .

ودهش الرأى العام العالمى من هذا الرفض واستحكمت حلقات العداء بين إنجلترا وإيطاليا وعادت صحف إيطاليا للحملة على أنطونى إيدن الذى تعتبره « شيطان المسألة الحبشية » وأعلنت إنجلترا أنه لا نزاع بينها وبين إيطاليا ، بل أن النزاع بين إيطاليا وعصبة الأمم وشاع أن ملك إيطاليا المحبوب من جميع العالم والذى لم يسمع صوت جلالاته في هذه المدة الا قليلا ، أرسل إلى ملك إنجلترا خطاباً بخط يده يناشده فيه أن يوفق بين الحكومتين ، وشاع أيضاً أن جلالاته لا يحب الحرب ومثله في ذلك مثل قداسة البابا الذى خطب لمصلحة السلام كما يقتضيه واجبه ومركزه <sup>(١)</sup> .

ولكن كثيرين من أهل التفكير على أن رفض إيطاليا يعد من قبيل الارهاب وإظهار الثبات وعدم التزعزع حيال اتحاد العالم . ولكنهم لن يلبثوا أن يلينوا وآية لينهم أن يناقشوا الاقتراحات . وفعلاً بعد أن هدأت العاصفة وجست إيطاليا نبض أوروبا صرح الدوتشى بأن الأرض المعروضة عليه مقحلة

(١) عرف عن سليل أسرة سافويا بغضه اهراق الدماء وجهه أن يحتم عهده بسلام ولكن الفاشستية قلبت وجه الامور .



وجدباء<sup>(١)</sup> وبذلك خرجت إيطاليا من صمتها وعدلت عن عنادها وأظهر سنيور جايدا «روح الشر» في هذه المشكلة نوعاً من المسألة .

وأقترح مندوب إيطاليا تجريد الحبشة تجريداً تاماً من السلاح وأن تتولى إيطاليا إعادة تنظيم جيشها وأن تتخلى الحبشة لإيطاليا عن منطقة من أراضيها ممتدة إلى غربي أديس أبابا من الشمال إلى الجنوب لتصل بين الأريتريا والصومال الإيطالي وأصرار إيطاليا على أن أى منفذ بحرى يعطى للحبشة يجب أن يكون عن طريق الممتلكات الإيطالية .

وقال بعضهم متهمكاً في التعليق على هذه الشروط أنها لا تفرض حتى في حالة انتصار إيطاليا انتصاراً باهراً بعد حروب مهلكة فما بالك بطلبها أثناء السلام . أما الحبشة فقد قبلت مشروع الخمسة بدون تحفظ .

وما زالت إيطاليا تهدد بالانسحاب من العصبة .

وقد جندت كل كائن ممكن تجنيده حتى أنها نبشت الأرض على الكبتن جينون وهو ضابط في الستين من عمره ( كان عمره ٢٠ عاماً في الموقعة ) نجما مع الأفراد القلائل الذين نجوا من معركة عدوه ! وقيل إنه تطوع للخدمة في شرق أفريقيا . ونحن نعجب بشهامة هذا الجندي الشيخ لا لأنه ساع إلى حتفه بظلفه ، فان الأعمار بيد الله ، ولكن لأنه يعود عن طيب خاطر إلى المكان الذى رأى فيه الموت رأى العين بعد انقضاء أربعين عاماً تحولت خلالها حاله وابيض شعره وانحنى ظهره وضعفته الأيام ولكنها لم تفت في عضده وإن كان في إيطاليا من طرازه واحد فرد ففي الحبشة ألوف ينتظرون الحرب والصدام فانها تستعد لتجنيد مليون مقاتل فتدفع سيل من رؤساء القبائل للاندماج في الجيش .

(١) يخيّل لمن يقرأ اعتراض السنيور أن أرض الحبشة ميراث عائلي له ولبنى وطنه ! !



ومما يؤسف له أن مستر فرنك كيلوج، صاحب الميثاق السامي الدولي الشهير، قد استقال من عضوية محكمة لاهاى الدولية والسبب الظاهر أحوال ترغمه على التغيب عن المحكمة، والسبب الصحيح، ضجره وقرفه مما وصلت اليه حالة بعض زعماء شعوب أوروبا ممن وقعوا على ميثاقه .

وقد خيم اليأس على نفوس العصابة بعد رد الدوتشى فان رده لا يدل على أنه عاد إلى المسألة والوفاق ، وقد قدم هذا الرد لأنه يعلم أن الحبشة لا تقبله وأن أعضاء العصابة لن يقبلوه . ولم يبق إلا أن تنسحب إيطاليا من العصابة .

وأخذت الأنباء تتسرب بأن بعض أعضاء مجلس الشيوخ وأركان الحرب<sup>(١)</sup> فى إيطاليا أخذت تتشاءم من الحرب وتسىء الظن بنتائجها وتتوقع الشر والسوء من مغبتها ، ويتصل بعضهم بجمالة فيكتور عمانوايل ليقنع جلالته بذلك لما هو مشهور عنه من حب الخير والسلم و بغض الحرب واهراق الدماء . ولا يزال بعض النوكى والحقى يظنون أن الدوتشى قد يعود إلى المصالحة و يظنون أعماله من قبيل « البلف » والتهويز والحقيقة فى ذهن العقلاء والمفكرين أن الرجل جاد الجد كله ، قد يكون مغامراً وقد يكون شاعراً بالخطر ، ولكنه بلا ريب قد وزن كل الأمور وحسب لكل شئ حسابه ، ولم تفته صغيرة ولا كبيرة ، وأن حوله فئة من أهل السياسة والحرب قد عاونوه على الوصول إلى نتيجة تسره وتسرههم واتخذوا لها أهبتهم ، ولسانهم الناطق سنيور جايدا منشى جورنالى ديتاليا وشاعر الفاشستية المداح والهجاء ورافع لواء المعاداة لانجلترا وفاضح أسرار الاستعمار على زعمه . وعلى هذا الرأى حكومة الحبشة وشعبها ومعظم رجال السياسة والصحافة فى انجلترا والمانيا . بل أن حوادث الأيام نفسها تؤيد صحة

---

(١) قيل إن جنرال بادوليو الذى نذبه الزعيم للسفر فوصل فى ١٧ أكتوبر إلى أريتريا كان ضد الحرب



عزم الدوتشي ، فلم ترَ في تاريخ العالم أن عشرة آلاف رجل يرسلون في يوم واحد لميدان الحرب دون أن تكون الحرب مؤكدة وواقعة . وقد وقعت فعلاً ! كل هذا حادث وعصبة الأمم مستمرة في أداء عملها وأعضاؤها يعتقدون أنهم قادرون على منع الحرب و بعد أن رفضت إيطاليا اقتراحات الخمسة وقدمت اقتراحات مستحيلة القبول عقدت لجنة الثلاثة عشر المؤلفة من جميع أعضاء مجلس العصبة ما عدا العضو الإيطالي لوضع تقرير عن النزاع بين إيطاليا والحبشة فقرر شكر امبراطور الحبشة لأنه أمر بسحب جنوده ثلاثين كيلومتراً وراء الحدود رغبة منه في اجتناب الحوادث وتلت طلبه البرقي بإرسال لجنة دولية ترقب من يبدأ بالاعتداء فاتفقت على صيغة الجواب ووعدته خيراً ويعد هذان العاملان حكماً تمهيدياً ضد إيطاليا ولهذا الاجتماع الاجماعي سابقتان في حرب جران شاكو وفي نزاع الصين واليابان وستظل دورة انعقاد الجمعية العمومية للعصبة مستمرة الى أن ينجلي الموقف فأحتج مندوب إيطاليا على استمرار الاجتماع الى أجل غير مسمى بحجة أن العصبة غير مرتبطة ارتباطاً رسمياً بالنزاع الناشب .

ومما يجدر ملاحظته من الوجهتين السياسية والقانونية أن إيطاليا التي تتهدد العصبة بالانسحاب وتحاول التقليل من قدر قراراتها في نظر العالم لم تترك ناحية من ناحيات النقد القانوني ضد العصبة إلا تناولتها بكثير من الدهاء والحيلة كما يفعل أمهر المحامين وأحذقهم فمن ذلك قولهم إن الوقت مناسب لتطبيق البند ١٦ من عهد العصبة على الحبشة وهو ينص على « اخراج العضو الذي لا يليق أن يبقى في العصبة » . . . . . والبند ٢٢ الخاص بالانتداب وأن العقوبات لا تفرض إلا في حالة الانشقاق المفاجيء لا في الحالة الراهنة حيث سبق للمجلس أن تدخل في الأمر وقد تخلفت إيطاليا عن حضور جلسة ٢٦ سبتمبر لتحتفظ بكامل حريتها فلا يصدر أى قرار في مواجهتها .



وفي وسط هذا التوتر الشديد في أعصاب العالم تكلم سنيور بنديتو موسوليني فقال ( ٢٧ سبتمبر ١٩٣٥ ) « لقد فكرت ملياً وحسبت كثيراً ووزنت كل شيء ولن يستطيع أحد وقف مليونين من أبناء إيطاليا يتوقون إلى شرف الذهاب إلى شرق إفريقيا لخدمة وطنهم والموت في سبيله إذا قضت الضرورة وأنا اختار التضحية بالحياة على السلام ( كذا ) . وقد تقدم الدوتشي بقلمه يكتب بدون توقيع في جريدة المنبر ( تريبونا ) التي صدرت في ٢٧ سبتمبر بروما فقال « ان العقوبات لا وجود لها في ميثاق العصبة والمادة ١٦ تشير فقط إلى قطع العلاقات المالية والتجارية ولما كانت إيطاليا الفاشستية لم تقترض درهماً واحداً في تاريخها فلا يمكن أن ينكر عليها ما لم تطلبه والبلاد التي تدعو بالحاح إلى توقيع العقوبات هي التي تبيعنا أكثر مما تشتري منا ، فإذا لم تشأ أن تبيع لنا أو تشتري منا فإننا نشكرها . ولكن اذا حاصرونا فمعنى ذلك الحرب ونحن نحارب أيضاً » .

وقد انتهز خصوم إيطاليا فرصة هذا التصريح وقالوا إن الحبشة قد تصير كابوريتو ثانية وقد تسمى الحبشة عند ذلك مقبرة الفاشيزم<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من تفاؤل الدوتشي وفرحه بالحرب والتضحية والموت في سبيل الحبشة وتفضيله القتل على السلم ، فان صوتاً من إيطاليا ، ومن نفس هؤلاء الشبان الذي يذكرهم جاء يقلل من حدة هذه اللهجة ويعمرها بشيء من المرطبات . فقد نشرت صحيفة عربية كبرى حديث شاب إيطالي جاء فيه اعتذار عجيب عن الأقدام على الحرب :

« لسنا مقبلين على هذا الجهاد بقلوب مرحة . . . ولكننا نشعر بأن إيطاليا

(١) كابوريتو منطقة إيطالية على نهر ايزونزو واشتهرت في الحرب العالمية بهزيمة الإيطاليين أمام النمسا وألمانيا في أكتوبر سنة ١٩١٧ شر هزيمة بقيادة كادورنا وجرازياني وغيرها .



مضطرة للتوسع والا تنفجر ونعلم أن أماننا أهوالاً ومصاعب وخسائر لا بد أن تتحملها ، ولن يكون هذا تسليية وهواً لجيلنا الحاضر<sup>(١)</sup> .

وفجأة تغيرت لهجة الدوتشي وأعوانه بعد أن أيقنوا أن العصبة جادة في خطتها ومصممة على تنفيذ ما صحت عزيمتها على تنفيذه ، فعدل بارون الويزي مندوب إيطاليا عن مغادرة جنيف تنفيذاً لأوامر جديدة وصلت إليه من روما . واجتمع وزراء إيطاليا في يوم ٢٨ سبتمبر وعرض عليهم موسولينى تطورات الحالة منذ الاجتماع الأخير واعتذر عن رفض اقتراح الخمسة بحجة أنها أغفلت مصالح إيطاليا التي تؤيدها وتؤكدها معاهدات ١٨٨٩ و ١٩٠٦ و ١٩٢٥ ( وأغفل الدوتشي معاهدة ١٨٩٦ التي عقدت بعد معركة عدوة ! ) وسخر من حسن الظن بالنجاشى في سحب جنوده وراء الحدود وأخيراً قرر المجلس ما يأتى :

أولاً — إيطاليا لن تبادر العصبة بالعداء

ثانياً — إيطاليا تحترم المصالح البريطانية وهى مستعدة لعقد معاهدة مع انجلترا تطمئنهما على مصالحهما في شرق افريقيا .

ثالثاً — تجتنب إيطاليا كل ما من شأنه توسيع الخلاف بينها وبين الحبشة وقد فسر هذا العمل بأنه مساومة إيطالية ومناورة جديدة للدخول في مفاوضات ثلاثية خارج العصبة وأن معناه أيضاً تأجيل اعلان الحرب .

ولكن الطليان يعتبرون هذا البلاغ تحدياً لانجلترا ، وانجلترا ترفض أن تتفاوض خارج العصبة .

وقد انتهى شهر سبتمبر ولم تعلن الحرب ولم تنجح العصبة في حسم النزاع

(١) تلغرافات الاهرام الخاصة يوم ٢٨/٩/١٩٣٥ ص ٦ عمود ٣ — رومه بتاريخ ٢٧/٩/١٩٣٥



ولم تتزحزح إيطاليا عن موقفها الا بحيلة تقصد بها إلى كسب الوقت واحداث  
الفشل في صفوف العصبة .

وأراد موسوليني أن يختم الشهر بمحدث سياسي فصرح للصحف<sup>(١)</sup> بأن  
بريطانيا وإيطاليا اتفقتا على التهام الحبشة ، وأن بريطانيا تعتبر استقلال الحبشة  
في دور التكوين وقد وقعت (أنا موسوليني) في سنة ١٩٢٥ مع سيررونالد جراهام  
سفير إنجلترا ( كان مستشار الداخلية في مصر ) اتفاقاً بتقسيم الحبشة تقسيماً  
فعلياً بيننا . واشتركت معنا فرنسا للمحافظة على حقوقها الاقتصادية ولا بد لنا  
من الاحتلال العسكري ضد الفوضى والوحشية كما حدث في العراق ومراكش  
وقد أخطرت بريطانيا بالخطة التي ستمتجها إيطاليا في ٢٩/١/١٩٣٥ ، ثم  
أعادت أخطارها في ١/٥/١٩٣٥

أما سفر وحدات الجيش فكان جهاراً عن طريق قناة السويس فلماذا لم  
تحرك بريطانيا ساكناً ؟ ولماذا لم تحتج إلا بعد زيارة كاپتن ايدن لروما ؟  
بعد أن مضى على هذا التصريح يومان اعتدت إيطاليا على الحبشة بالطائرات  
والمدافع بدون إعلان حرب ( ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ ) وما زالت تحارب وتخذل  
إلى يوم ٢١ أكتوبر الذي سبقته فترة سكوت وتردد ، وقد رفعت العصبة  
« الحظر » فأرسلت الدول بالأسلحة إلى الحبشة ، وأجمعت الأمم على مقت  
إيطاليا خصوصاً بعد أن ظهر عجزها عن اكتساح الحبشة في أسبوع كما أنذرت  
وأملت وادّعت ولم تكسب إلا تنفيذ العقوبات الاقتصادية كنص البند السادس  
عشر من عهد العصبة .

---

(١) بتي باريزيان ١٩٣٥/٩/٢٩



## ٦ - تطور الغارات على الأمم

١ - الأمور الثلاثة التي قيل إنها سبب الحرب

لقد شغلت الحرب الحبشية الإيطالية الحاضرة أذهان الكتاب والقراء ورجال السياسة وعلماء الاجتماع في كل مكان ، حتى غضوا الطرف عن مسألة تاريخية كبرى لها أكبر الأثر في تكوين النزاع السياسي الذي تنشأ عنه الحرب . فقد نظروا جميعهم الى تلك الحرب بوصفها عملاً دولياً عادياً ترتب على ثلاثة أمور .

الأمر الأول : الأخذ بالثار لهزيمة عدوة الشهيرة .

الأمر الثاني : رغبة إيطاليا في التوسع الاستعماري للحصول على ما يسد الرمق  
الأمر الثالث : رغبة زعيم إيطاليا في احراز نصر خارجي يعيد لأرض إيطاليا وشعبها مجد الدولة الرومانية البائدة .

والأمران الأول والثالث غير جديرين بالاكتراث من الناحية الدولية العامة ، ولا يهمان أحداً سوى إيطاليا نفسها ، وقد لا يهمان فريفاً كبيراً من الشعب الإيطالي المعاصر ، لأن موقعة عدوة وقعت في سنة ١٨٩٦ أي منذ أربعين عاماً تامة والكثرة الساحقة من حضروها أو تحمسوا لها أو شربوا مرارتها قد انقرضت أو كادت ، ولم يبق لها ذكر إلا في بطون الكتب ، وليست عدوه « الزاسا » ثانية انتزعت من جسم الوطن ، حتى تبقى نيران الثار مشتعلة في قلوب بنينا ولا تطفأ إلا أن تسترد وتعود إلى أحضان الأم الرؤوم <sup>(١)</sup> .

(١) راجع كتاب (La revanche) تأليف مدام چوليت آدم التي لا تزال على قيد الحياة وقد احتفل يوم ١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٥ في باريس ببلوغها ٩٩ سنة



هذا عن الأمر الأول وهو تعليل الحرب التي نشب برغبة الأخذ بالثأر

الأمر الثالث وهو رغبة زعيم إيطاليا في احراز نصر خارجي يعيد المجد

وهذا الأمر يعد مغالطة تاريخية وسفسطة سياسية لأن العقل السليم والنظر الصادق لا يسمحان لصاحبهما أن يتخيل أن مجرد الانتساب إلى شعب عريق قد قامت قيامته واندرث معالمه وانحلت عناصر حضارته ، ومحيت آية وجوده من صحيفة الوجود ، ان مجرد الانتساب إلى هذا الشعب يكفي لاعادته سيرته الأولى ، لأن أسباب الانحلال التي اعترت كيان الأمبراطورية الرومانية ذهبت بتلك الأمبراطورية<sup>(١)</sup> كما أن عناصر التكوين وتاريخ النشأة لتلك الأمبراطورية ليست متوافرة كلها أو معظمها في الأمة الإيطالية الحديثة التي دخلت في التاريخ الحديث بوصفها وحدة قومية يرجع الفضل فيها إلى ثلاثة من أعيان السياسة الوطنية وهم متزيني وكريسي وكافور . فنهضة إيطاليا الحديثة نهضة اقتصادية وسياسية وليست نهضة حربية كالتى قامت عليها أمبراطورية روما<sup>(٢)</sup> .

واذا رجعنا إلى كتب متزيني<sup>(٣)</sup> وخطب كافور نجد أنهما لم يرميا قط إلى عظمة امبراطورية ولا توسع استعماري بل كانا يرميان إلى تحرير وطنهما من ربق الاحتلال النمساوي والفرنسي واصلاح الشؤون الداخلية . وهذا ليس بالتاريخ القديم بل يرجع إلى القرن التاسع عشر فان رومه لم تحرر من الجنود الأجنبية إلا في حرب السبعين أى منذ ستين عاماً تقريباً .

(١) راجع كتاب جيون (Decline and fall of the Roman Empire)

(٢) هذا لا يتقص من مجد غاريلى ، ولكنه كان بطلاً وقيلاً لا غزياً عالمياً .

(٣) واجبات الانسان Il devori de l'homme



ولا يكفي للزعيم أن يكشف العمال عن بضعة مبان قديمة أو بعض « أقواس نصر » خاوية كحمام كراكلا أو اصطبل نيرون حتى يعيد مجداً بناه جبابرة الحرب ودهاة السياسة أمثال يوليوس قيصر وأغسطس وشيشرون وأن الامبراطورية الرومانية هزمتها العرب في ساحات الشام ( واقعة اليرموك ) كما هزم البقية الباقية منها غزاة الترك في الاستيلاء على القسطنطينية .

إذن يكون الكلام على إعادة مجد الامبراطورية الرومانية التي فتحت العالم مجرد كلام جميل وأحلام زاهية وأمانى معسولة لا يصح في الأفهام أن يقام لها وزن . وقد تصلح بروقاً خلافة لا عين الشعب في بلاده . وهي على حد قول الانجليز اللاذع « بضاعة لا تصلح للتصدير » وفي ظني أن ذكاء الزعيم يقنعه بصحة هذا الرأي .

بقي الأمر الثاني الذي يصح أن يكون هو السبب الصحيح للحرب التي نشبت ولم يحصل إعلانها وهو رغبة إيطاليا في التوسع الاستعماري .

#### ب — التوسع الاستعماري الحديث

ومهما يكن رأى دعاة الاستعمار ، فلا يمكن أن يفيض أحدهم في البحث وفي الموضوع حقه بمثل ما صنع پول دييوا في كتابه الممتع « الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر »<sup>(١)</sup> فان هذا العالم المدقق قسم الاستعمار الأوروبي إلى ثلاثة أقسام .

الأول — الهجوم على القارات الآهلة بالمتوحشين ( استراليا وأمريكا )

الثاني — استعمار وطن الشعوب الآيلة إلى الانحلال ( كالهند والصين )

الثالث — الهجوم على القارة السوداء ( أفريقيا ) ولكن العالم دييوا لم يفته

---

(١) Paul Dubois—La Colonisation Européenne au 19ème siècle.



وهو يدافع عن بعض نظريات المستعمرين الذين اتقنوا سياسة الاستعمار حتى كادوا يجعلونها فناً جميلاً، أن يرجع الأمور إلى أصولها فأشار من طرف خفى إلى وجوه الشبه بين الاستعمار الحديث وبين غارات القبائل البربرية في القرون الوسطى على الأمم المتحضرة التي دقت نواقيسها فأضاعها الترف والتطرف في نعومة المدنية واستنامت إلى ملذات الرفاهية .

### ج — هجوم البرابرة على الأمم المتحضرة

تاريخ الأمم هو تاريخ « النزوحات » التي حصلت بينها وهي أشبه الأشياء بالموجات الانسانية الحية ، ومظهرها أن قبائل رحالة قوية يضيق بها العيش والمرعى في أوطانها فتنزح على غير هدى في طلب الرزق ولا تلبث أن تنقض على بلاد آهلة بالسكان وشعوب في درجات مختلفة من الحضارة فتنزّل عليها نزول الصاعقة وتستولى عليها فتبديد حضارتها تارة وطوراً تخضعها لنفوذها ، فإذا تم الاخضاع ، فإما تندمج فيها وتفقد على مر السنين وكر الأعوام مؤهلات الغزو والطغيان ، وإما تحتفظ بقوتها فتفنى الشعوب الأصلية عن آخرها .

وضرب العلماء أمثالا لذلك هجوم الهون والفندال والفيزيجوت على روما وأورو با الوسطى وأسبانيا فحكموها بعد أن أزالوا ملكها وخرّبوها حتى صار اسم « الفندال » علماً على التخريب <sup>(١)</sup> .

وكان منهم امبراطرة أمثال كرا كلا وكانت لهم نظم فطرية أضافوها إلى ما وجدوه في حوزة المالك المقهورة . وهجم النورسمان والسكسون من شمال أورو با على انجلترا وايرلندا . فغلبوا القلتيين أو السلتيين على أمرهم .

(١) فندالزم جريمة يعاقب عليها القانون مثل تشويه الآثار



هذا في الغرب ، أما في الشرق فقد أغار المогоل والتتار على بغداد في أواخر القرن السابع الهجري ، وهي في قمة مجدها تحت حكم العباسيين ، فصنعوا بها ما صنعوا من تخريب وتقتيل وتحطيم لآثار الحضارة حتى جعلوا اهراماً من الرؤوس البشرية وأغرقوا كل ما وصلت إليه أيديهم من الكتب المخطوطة في نهر دجلة . وكان هؤلاء المدمرين زعماء نابيهون أمثال جنكيزخان وتيمورلنك الأعرج وغيرهما .

وإن المؤرخين ليصعدون في سلم التاريخ الى ما هو أبعد من ذلك فيذكرون هجرات قبل التاريخ مثل نزوح قبائل الين بعد خراب سد مأرب الى الشمال ، ومنهم قبائل احتلت الحجاز ومكة وطردت القبائل السابقة كقبيلة جرهم وصعدوا الى الهيكسوس الذين أغاروا على مصر وملكوها وقهروا ملوكها وأغارات القبائل الوحشية على بابل وآشور ولم ينسوا أن يصفوا خروج بني اسرائيل من مصر بأنه نزوح قبيلة قوية لفتح فلسطين المستضعفة .

وغير خاف أن هذه القبائل كلها إنما أغارت على الأمم المتحضرة في سبيل الرزق والتحضر ورغبة الاستقرار في بلاد مجهزة بكل أدوات المدنية .

#### د — ما أشبه اليوم بالبارحة

فلما أن تحضرت أوروبا بعد الحروب الصليبية و بعد سقوط القسطنطينية وانتفاعها بعلوم العرب واليونان ثم تفوقها عليهم بالأسلحة والعدد وبلغت الحضارة الأوروبية قمتها في القرن التاسع عشر وقام اقتصاديون أمثال آدم سميث ومالتوس في انجلترا<sup>(١)</sup> وچان باتست ساي في فرنسا ، وكان الأفرنج قد جاسوا خلال

(١) هو أول من قال بزيادة السكان على الاغذية التي تعطيها الارض ولذا نصيح بتقييد النسل وتحديدده



القارات الخمس ووقفوا على بواطن أمورها وأولهم « ماركو بولو » الايطالى وكوك  
الانجليزى وفاسكودى جاما ويزارو البورتغاليان وكريستوف كولومب البيزانى  
فالجنوازى ، وكان أسبقهم ابن بطوطة العربى المسلم ولكنه لم ينفذ أتمه شيئاً ! نقول  
لما جاس هؤلاء الرحالون المشبعون بروح الاستطلاع والغزو خلال الممالك ، وعادوا  
إلى أوطانهم بأنباء مدهشة تشبه أنباء سندباد البحرى ، لحقهم من الانجليز  
ليفنجستون وستانلى وأمين باشا ( وهو ألمانى ) فكشفوا أفريقيا ومنابع النيل .  
وصادف أن توهمت أوروبا أنها سوف تجوع وتعزى وتحتاج إلى القوت  
الضرورى على توالى الأعوام ، وأدرك الضيق المادى طبقة العمال ولا سيما فى  
بلاد الانجليز ، فانتحر أحد عمال المناجم بعد أن قتل أولاده خشية الاملاق ،  
فكتب كارليل فيلسوفهم فى تلك الحقبة فى كتابه « الماضى والحاضر <sup>(١)</sup> » يقول فى  
الفصل الأول « لقد حدث للمرة الأولى حادث فاجع لم يسبق له مثيل فى هذه  
البلاد ، ألا وهو أن رجلاً انجليزياً مسيحياً قتل نفسه بعد أن قتل أولاده  
خشية الجوع والبرد ، وأنها لعلامة جد خطيرة وأمر له ما بعده حدث فى يوم  
عبوس قطير » .

فحينئذ وحينئذ فقط هبت تلك الأمم للاستيلاء على البلاد الضعيفة أو  
ذوات الحضارة المنحلة مثل الهند وشمال افريقيا والهند الصينية ووادى النيل الخ .

ه — الأسباب التى انتحلتها دول أوروبا لتبرير الاستعمار

ولما كانت دول أوروبا قد ضربت فى الحضارة بسهم نافذة وإتخذت لها  
رداء من المدنية ووجهاً مستعاراً من مكارم الأخلاق ولا سيما بعد ظهور مبادئ  
الثورة الفرنسية وتوكيد حقوق الانسان وانتشار فكرة الحرية والمساواة بين الأمم ،

(١) Past and present تأليف توماس كارليل



وصارت لهم حكومات منظمة ومسؤولة أمام مجالس نيابية ، وصحافة قوية تنشر كل ما يقال ويكتب في أنحاء العالم ، فقد خجلوا أن يجاهرُوا بالسبب الحقيقي لغاراتهم الجديدة على أمم العالم وهو الخوف من الجوع وخشية الإملاق المهدد لكيانهم فاتخذوا أسباباً باطلة وألبسوها ثياب الحق فقالوا « إنما نفتتح البلاد ونغير عليها لا لمنفعتنا ولكن لخيرهم ، فنحن نريد تمدينهم وتحضيرهم ونريد حمايتهم من أنفسهم ومن طغيان حكامهم » وكما انتحل بعض ملوك أوروبا في القرون الوسطى حجة الحكم والسلطان بالحق الإلهي<sup>(١)</sup> كما فعل شارل الأول في إنجلترا ولويس الرابع عشر في فرنسا وشارلمان وغيرهم ، فقد اتخذت بعض الدول الأوروبية فكرة « المسؤولية أمام الإنسانية » فصارت تقول نحن مسؤولون أمام العالم عن حماية هذه الأمم وتهذيبها وتحضيرها ولا يمكننا أن نتخلى عنها لئلا تهلك أو تتدهور أو تتردى في الهاوية ، ولكن أعمال هذه الدول في تلك البلاد المستعمرة كانت تكذب دعواهم فقد حكموها لمصلحتهم الذاتية ومحو آيات استقلالها وعملوا على تأخيرها لتمام الاستيلاء عليها .

وقد برعت أوروبا في تنفيذ خططها ، وأتقنت سياسة الاستعمار ، ومصرت الأمصار ودونت الدواوين وأنشأت المكاتب والمدارس لتخريج الرجال وتأهيلهم للخدمة في المستعمرات وعلمتهم لغات البلاد المقصودة بالحكم كالعربية والهندية والاندونيسية حتى لغات الزوج والشوك أتقنوها ووضعوا لها القواميس والمعاجم . ووضعوا القوانين والشرائع لحكم تلك البلاد ، وأسسوا وزارات جديدة أطلقوا عليها اسم وزارات المستعمرات ، قد يكون شأنها في بعض الدول أعظم من شأن وزارة الأمور الخارجية كما هي الحال في فرنسا الآن .



و — العراك بين الدول العظمى على المستعمرات

ولم تكن تلك الملحمة العظمى بين القوى والضعيف ، تمر دون تيقظ الحزازات بين الهاجين والمغيرين ، لأن الأمر لا يخلو من دسامة إحدى الهى وضالة الأخرى ، وسمن بعض الفرائس دون البعض ، فكان من هذا القبيل أن حاربت انجلترا جارتها فرنسا فى سهول كندا لتزاحهما على تلك السهول الواسعة ذات الخصوبة العظيمة<sup>(١)</sup> وحارب السكسون بعضهم بعضاً فى أمريكا نفسها ففار المستعمرون على دولتهم الكبرى بريطانيا فأسسوا جمهورية الولايات المتحدة . وحاربت انجلترا الدولة الروسية فى القريم ، وأوشكت انجلترا أن تحارب فرنسا على فشودة ( حملة الجنرال مارشان<sup>(٢)</sup> ) ، ولما دخلت اليابان فى دورة الاستعمار وتشبهت بأوربا ، إلتحمت فى حرب عظمى مع روسيا للنزاع على منشوريا . وأوشكت ألمانيا أن تحارب فرنسا لأجل مراكش ( ١٩١٢ ) بسبب سياحة غليوم الثانى وسفره الى « أغادير » . وختمت تلك المعارك كلها التى ولدت الأحقاد على مدى العشرات من السنين بالحرب العظمى التى ما زال سببها غامضاً لدى العامة ، وحقيقتها أنها حرب سببها الاستعمار الذى تنهت عناصره بعد غزوة إيطاليا فى طرابلس وطمع ألمانيا فى نصيب من المستعمرات أوفر مما كان لديها فتكشفت الحرب عن سلبها ما كان لديها والحكم عليها بالاعدام السياسى والموت المدنى ولوالى حين .

(١) لا تزال آثار النفوذ الفرنسى فى الشعب الكندى فى السياسة والادب وهذا أقوى موانع انضمام كندا الى الولايات المتحدة

(٢) راجع كتاب Jules Cocherie « La situation internationale de l'Egypte et du Sudan Paris 1904 »



## ٧ - الوجه الاخير للاستعمار

وهو وجه «الحاق» وقد عادت فكرة الاستعمار كالعرجون القديم ، وأظهر ما فى هذا الوجه ، هجوم ايطاليا على الحبشة على الرغم من وجود عصبة الأمم . وخطورة الأمر ترجع إلى أن كلاً من الحبشة وايطاليا عضو فى تلك العصبة . وقد بذلت دول أوروبا غاية ما تستطيع فى التوفيق ، والحيولة بينهما وبين الحرب فأعلنت ايطاليا بعملها افلاس العصبة ، واثبتت أن حب الاستعمار لا يزال ناراً تتأجج فى صدور أهل أوروبا ، حتى بعد الحرب العظمى ومؤتمر نزع السلاح . ولكن ايطاليا أحسنت الى العالم فى شىء واحد<sup>(١)</sup> وهو أنها جاهرت بأنها تحارب لأجل التوسع ، وحجاً بتوفير الرفاهية لأبنائها ورغبة فى إيجاد ميدان جديد لنشاط الأجيال المقبلة من سلالة الفاشيين ، وتنقيساً عن صدر الأمة التى تكاد بلادها تضيق بشعبها ، وبعبارة أخرى تريد ايطاليا أن تقول «طالب العيش ما تعدى» ولما يفيض على استيلائها على طرابلس ربع قرن ، وقد يعز على الزعيم أن لا يضيف الى أملاكه أرضاً جديدة يضمها الى اريتريا والصومال لينزهو بحكم أهلها وثروتهم بين الأمم . ولكنه كان صريحاً ، فلم يخف أغراضه ، ولم يخجل من التصريح بها ، بل غير بعض الدول العظمى بما فعلته فى سبيل الاستعمار<sup>(٢)</sup> .

وإذن تكون غزوة ايطاليا للحبشة من نفس النوع الذى وصفناه فى النبذة الثالثة من هذه العجالة ، فها هى أمة متحضرة ووارثة لدولة عريقة فى المجد وموجدة نظام جديد فى الحكم الداخلى ، وهو النظام الفاشى قد أدركتها أعراض الوراثة من دماء الذين أغاروا على رومة وحكموها فأغارت على بلاد أجنبية بعيدة

(١) إذا كان فى الجرائم الانسانية الدولية إحسان !

(٢) سبرى القارىء كم تكبدت إيطاليا فى سبيل استعمار اريتريا من المال والرجال .



عن مقر ملكها بألوف الأميال ، ولم يعقها عن تلك الغارة ، أن تلك البلاد الأجنبية البعيدة عريقة هي الأخرى في الاستقلال والحرية وفي الشجاعة الحربية وفي الايمان الديني ، ولم يعقها أن تلك البلاد داخلة في زمرة الأمم التي أرسلت مبعوثيها الى عاصمة جامعة الشعوب بجنيف<sup>(١)</sup> .

مما يثبت التناقض الإيطالي وعدم الثبات على المبادئ أن مندوب إيطاليا في عصبة الأمم في جلسة ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ وهي الجلسة التي قبلت فيها الحبشة في العصبة وكان إذ ذاك هو الكونت بونينو لونجاري (سلف بارون الوازي) قال إنه يرحب باسم إيطاليا بقبول الحبشة تلك الدولة العريقة في الحرية والعقيدة منذ ثلاثة آلاف سنة لدى دخولها في عصبة الأمم وان إيطاليا تعد طلبها العضوية في العصبة تحية عظيمة تقدمها الحبشة إلى العصبة » وقد دافع عنها خير دفاع وقال إنها مصدر نور وحضارة في أفريقيا

واذ كانت القبائل المتوحشة تغير على الأمم المتحضرة بأقواس ، وسهام ، وسيوف ، ورماح ، وخوذات ودروع ، فإن إيطاليا المتحضرة تغير على الحبشة بالطائرات والغازات وأشعة الموت والأساطيل والدبابات والمدافع الرشاشة وقنابل الديناميت وهذه الأمة الحبشية نفسها لم تكن تملك إلا الأقواس والنبال والرماح .

---

(١) كما أن لرومة أساطير في تأسيسها بفعل التوامين رومس وريئس المدين رضعا لبان الذئبة كذلك للحبشة تأسيس أسطورة عن ملكها بفعل أول ملوكها منليك الاول الذي حمل الى عاصمتها اكسوم الواح موسى .



ز — الأدلة المادية على أن الحرب الناشئة غايتها طلب الرزق !

لقد نوه مندوبو إيطاليا بمجنيف في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٥ « بأن إيطاليا يجب أن تتحصل على متسع من الأرض لزراعتها العاطلين عن العمل وأن تستعمر البلاد وتمد المصانع الإيطالية بالمواد الخام وأن هذا لا يتسنى إلا إذا كان لإيطاليا جيش احتلال دائم في الحبشة ورقابة على إدارة الحكومة وقال الزعيم موسوليني في يوم ١٩ سبتمبر لمستر وارد برايس في رومه :

« ان منطقة الدنا كل التي تقترح لجنة الخمسة إعطاءها لإيطاليا ليست سوى مهد قديم لبحر جف مأوّه فلا تنمو فيها عشب خضراء ولا يمكن حتى الحبشى نفسه أن يجد فيها وسيلة للارتزاق ، تلك هي صحراء أوجادين أو الصحراء الحجرية ... وقد عاجلنا بعض الصحراء اللويفية وصيرناها صالحة للسكنى ، أما الصحارى الجرداء القاحلة المملوءة صخوراً هائلة صماء فلا يمكننا أن نفعل بها شيئاً » .

ماذا يقول سنيور بنيتو موسوليني لو أن دولة أقوى من دولته أعلنت عليه حرباً جائرة وكادت أن تقهره ، فعرض عليها جزيرة صقلية وجنوب شبه الجزيرة ، لتستعمرها فرفضت عرضه وطلبت سهول لومبارديا وتوسكانيا لخصوبتهما وذلك بحجة أن عمالها عاطلون وزراعتها لا يجدون ما يزرعون ، هل يطبق الحياة حينئذ ، أم يقبل التنازل عن أرض الوطن ؟



### ح - النتيجة

ويستنتج من كل ما تقدم ، وهو بعض ما يجب أن يقال ، أن غارات الأمم على بعضها بعضاً لا تزال مستمرة ، وأنها تطورت فبعد أن كان المتوحش يهاجم المتحضر ، أمسى الذى يعتبر نفسه فى أعلى قمة الحضارة يهاجم الأمة التى يعتبرها هو متوحشة فقد قال مندوب إيطاليا فى إحدى جلسات العصبة « إن الحبشة ليست أمة ، ولا تستحق أن تكون عضواً فى جامعة الأمم <sup>(١)</sup> » .

ولكن على الرغم من هذا التطور الذى تم فى مدى عشرين قرناً فإن سبب الغارات لا يزال واحداً وهو التوسع فى طلب القوت ، والبحث وراء الرغبة اللدن سواء أكان فى أمريكا أو أفريقيا أو آسيا .

ولما كانت القبائل البربرية قد انقرضت ، فلا شعوب سلافية تنحدر من الشمال على روسيا ، ولا هون ولا فيزيجوت ولا فندال ولا تتر ولا موغول ، لأن دول أوربا أبادتها فى منابها ، فقد حلت تلك الدول المتحضرة نفسها محل تلك القبائل واتخذت خطة الهجوم والاغارة ، وهى لا ترحم حتى نفسها حتى تغير ألمانيا على الأناضول وانجلترا على أيرلندا وروسيا وألمانيا والنمسا على بولونيا ، وذلك بأسباب شتى كالحدود الطبيعية (نهر الرين) وضرورة الجوار (أيرلندا) أو الخوف من النزعة الحربية (ضد بولونيا) .

الزمن تغير والعالم تطور ، ولكن غريزة الشر ورغبة الاعتداء والطمع الأعمى فى ما بين يدى السوى باقية لم تتحول سواء أكان الحاكم ملكاً مستبداً أو رئيس جمهورية شعبية أو زعيماً فاشياً !!

(١) راجع ما ينقض ذلك ص ٧٠ من هذا الكتاب



## ٨ - ثلاثة رجال وثلاث دول

### ١ - مقدمة

تدل حياة الرجال على حيوية الأمم .

كلما شعرت الأمة الحية بخطر يهددها بعثت من أعماقها برجل يدافع عنها ، ومثلها في ذلك مثل الجسم السليم الذي يقاوم الأمراض الطارئة .  
تكتب الأقدار على كل رجل أن يقوم بواجب النجدة والإنقاذ ، ولا تعلم الا الأقدار نفسها مكان هذا الرجل ، فتعده وتحيطه بالعناية وتتعهده بالتربية كالأم الرؤوم ليقوم بما وكلت اليه القيام به .

وهذا ما حدث في أرض الحبشة ، فقد بعثت العناية وحيوية الأمة بالرأس ثيودورس ليكافح بريطانيا ، والرأس يوحنا ليكافح مصر ، ثم بالأمبراطور منليك ليكافح إيطاليا . ففشل الأول ولكنه فاز بجمع كلمة البلاد ، وسقى بدمه شجرة الاتحاد ، وانتصر الثاني على مصر مرتين ، فكسب لشعبه هيبة لا تنسى وخرج الثالث مكلاً بتاج النصر . وما زال حامله إلى أن مات .

كانت إنجلترا في علاقتها بالحبشة كريمة ، فلم تصارحها العداء إلا بعد أن رأت منها المناوأة والمشاكسة ، ولم تكن إنجلترا تفكر مطلقاً في الاستيلاء على الحبشة ، بل كانت تريد أن تفتح لتجارتها أسواقاً ، على شاطئ القلزم وفي شرق أفريقيا وكانت تريد أن تكتشف الحبشة لتأمين جانبها في مستقبل الأيام ، لتشعب مصالحها في كل بقعة من البر والبحر على مقربة من إثيوبيا . وقد فطن الانجليز الى أن مركز الحبشة في أفريقيا بالنسبة لامبراطوريتهم يشبه مركز الأفغان في آسيا .



ولعل مركز الحبشة أهم لأفريقا من مركز الافغان للهند فان من يملك الحبشة يملك البحر الأحمر وشرق أفريقيا ومنابع النيل ، وسيسيطر على السودان ومصر وعلى وسط أفريقيا وجنوبها . فانجلترا تريد أن ترقب كل ما يقع في الحبشة بعين لا تغمض ، ولكنها لا تريد أن تملكها . ولانجلترا سياسة تقليدية لا تحيد عنها قيد شعرة ، وفوق هذا فان الانجليز يعلمون أن الاحتفاظ بالحبشة « شارية وعميلة » خير من التغلب عليها واستعمارها . وما أصدق فراسة الرأس على عند ما قال لبلودل وهو يوقع معاهدة الصداقة في سنة ١٨٤٣ وكان يخط اسمه بالخط الامهرى وهو باسم « ان هذه المعاهدة لن تفيد أحداً ، لأنه ليس في الحبشة ما يغرى أحداً من الانجليز ! » .

ولكن ما لا يغرى الانجليز يقنع صاحبه ويكفيه ، وقد يغرى غير الانجليز فيجردوا الطائرات والمدمرات والبوارج والجنود والبغال والجمال والأنعام ، وقد يخاطر هذا القادم على حرب أفريقية بما يزيد على ما يؤمله من كسب أو يتوهمه من ربح <sup>(١)</sup> . فاذا كانت الحرب عملية حسابية وجب عليه أن يرجع عنها ويعود أدراجه راضياً من الغنيمة بالإياب ، وصائناً لأرواح الأولاد والأقارب والأصحاب ، وإن كانت الحرب للمجد فبئس المجد الذى يعرض طالبه للخراب ، ولديه في ميادين أخرى أكايليل أخرى أحق بالتطاحن وأحرى بالكفاح .

وقد دهش العالم المتمدن من أن يرى زعيماً شهيراً وحاكماً مدبراً كالزعيم الايطالى ، راضياً بل متلهفاً على أن يضع أمة أبية عظيمة في موقف عسكري ومركز مالى لا يدعوان الى الارتياح ولا تؤمن عاقبتهم فقذف ربع مليون رجل الى شاطئ مقحل وأرض جرداء وصحارى صخرية كالحة يابسة تبعد عن أرض الوطن بألوف الأميال وكل ذلك وسط مخاطر ومهالك قد تستمر بضع سنين <sup>(٢)</sup> .

(١) قدر ما أنفقته ايطاليا لآخر اكتوبر سنة ١٩٣٥ ثلاثين مليون حنيه .

(٢) من خطبة لونيستون شرشل في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٥



ولكن يظن البعض خطأً أن سحب الجنود الإيطالية من شرق أفريقيا بدون قتال قد يؤدي إلى العصيان والفتنة وقد ينذر بسقوط الذين نادوا بهذه الحرب وأعدوا لها ما استطاعوا ثم ترددوا أو خشوا العواقب فعادوا من حيث أتوا .

وقد فات هؤلاء المتطيرين والمندرين أن الرجوع إلى الحق فضيلة وأن التقهقر المنتظم خير من الانتصار الطاحن وقديماً قالوا بأن الصلح المجحف بحقوق الرجل خير من ربح الدعوى ، لأن الربح معناه استمرار النزاع واستقواء أحد الخصمين على الآخر ، بعكس الصلح الجائر فإنه نهاية يحسن السكوت عليها ويطيب الوقوف لديها ، ويلقى عندها السلاح من الناحيتين . ولعمري أن عودة الجند بغير قتلى ولا جرحى خير من عودتهم على حال لا يعلمها إلا الله ، لأنه هو وحده الذي يعلم عواقب الأمور . ولا يمكن أن يخطئ العالم كله ويصيب موسوليني !

نعم أن مجد الوطن شيء عظيم وفرح الأيم والأرمل واليتيم بانتصار الأمة على خصمها يفوق حزنهم على من فقدوا من أبناء وأزواج وآباء . ولكن هذا يصح في حال واحدة وهي حال دفاع الأمة عن كيائها ورد الهجوم عن حياضها . وعند ما يكون الوطن في خطر ، وحينئذ يكون الدفاع مشروعاً لأنه دفاع عن النفس والعرض والوطن ولكن هذه المشكلة التي يعالجها العالم منذ بضعة شهور لم تظهر فيها الحبشة بمظهر الأمة المعتدية ، ولا المتهجمة ولا الطامحة ، بل ظهرت بمظهر الآمنة المطمئنة المستكنة المستغيثة ، ولذا كسبت عطف العالم وألانت قلوب الدول ، وأشهدت الدنيا على قضيتها فصارت دول الاستعمار نفسها تنكر التعدي وتحتج عليه ، وتأبى على الزعيم الإيطالي أن يغمض عينه عن عراقية الحرية في تلك البلاد النائية التي عاشت ألوف السنين رافعة علم الاستقلال الوطني والكرامة القومية في قلب القارة السوداء .



ب — من ثيودورس إلى هيلاسلاسى

كان ثيودورس الثانى يدعى قاسه ، وهى كلمة حبشية معناها (عوض) كما كان هيلاسلاسى يدعى (تفرى) . وكان ثيودورس رجلاً عظيماً ، وينتظر من الحياة أن يكون له دور جليل يمثله على مسرح بلاده ، فلما لم يجد ما يعينه على ذلك فى حقائق التاريخ الحبشى ، التمس فى سجل الأساطير ، وكان مثله الأعلى أن يسود وطنه لا ليحظى ثمار الفخار الشخصى ، ولا ليدخر الأموال ويخترنها بل لىخدم الوطن ويُعلَى شأنه ، وهو يعتزم أن يجود بنفسه فى سبيل الوطن ، فهو يطلب العلى لنفسه ليبذله فى خدمة وطنه ، وهذا أقصى ما تبلغه الكرامة فى شخص الملوك ، يصلون إلى أقصى درجات السمو القومى ليكونوا أشرف خدام الوطن ، لا على أنهم أجراء ، بل على أنهم مواطنون عظماء .

فلما أن الأوان وكشرت أورو با عن أنيابها لثيودورس ، لم يتقهقر ولم يرضَ باذلال نفسه بل خاض غمار المعارك ، ولما أن أيقن أنه مقهور لا محالة نال من نفسه بيده ، قبل أن يقع أسيراً فى أيدي خصومه « بيدى لا بيد عمرو » . وكان خصومه يقدرّون شجاعته وإقدامه ويكمنون له الاحترام ، ولا يرضون اذلاله ، ولكن سبق السيف العذل وراح حلم ثيودورس أدراج الرياح ، ولم يتمكن بحكم القضاء والقدر من خدمة وطنه ، ولكنه أوجد المثل الأعلى لمن يأتي بعده ، وترك صورة جميلة من حياة الملوك وما يجب عليهم نحو أوطانهم . لقد كان « رائداً » لمستقبل بلاده وقائداً لطلائع الأجيال المقبلة ، وراسماً لخطّة لا بد من تنفيذها لفخر الوطن .

كان يرمى إلى توحيد كلمة الوطن ، ولم شمل الامارات الصغيرة والقبائل المختلفة والمعتقدات المتباينة واللغات المتعددة تحت راية واحدة ، وكان يقصد إلى



مقاومة العدو الأجنبي الذى يهجم على أرض الوطن مهما كانت قوة جيوشه وعدد عساكره ، وكان يرمى إلى ترقية روح الشعب وتهذيبه وتنقيفه ليتمكن من مسيرة الأمم المتحضرة فى أفريقيا وغيرها . وكانت مصر فى نظره هى النموذج الذى يحتذى والمثال الواجب أن يتبع . فلما أن حاربت الأقدار صاحب هذا المنهاج الجليل السامى ، مؤذنة بأن حياة الأفراد مهما عظموا ، قد تذهب أحياناً فى سبيل حياة الأمم ، ولم يتمكن ثيودورس من تنفيذه ، بقى المنهاج لمن يجرى بعده ويحمل بيده تلك الشعلة التى أرغمت الأقدار ثيودورس على التخلي عنها وهو يوجد بأنفاسه ، فحملها يوحنا ، ثم أسلمها إلى منليك الثانى وقد كان هو المليك الذى كتبت على يديه نجاة الوطن بأسره من أسره !

كان يوحنا وهو قاهر الجيش المصرى ما كراً ، لأنه كان رئيس عصابة قبل أن يكون راهباً أو أميراً وقائداً ، ولهذا لم يتمكن من التفاهم مع مصر لتدوم له نعمة حسن الجوار<sup>(١)</sup> ، لأن حكومة مصر لم تكن تنوى اذلال الحبشة فى سنة ١٨٧٥ ولكنها كانت ترمى إلى إعلاء شأن راية مصر فى وادى النيل وصيانة منابع النهر العظيم والظهور أمام العالم المتمدين بمظهر العظمة القومية ، فى وقت هجمت فيه أوروبا على أفريقيا لتقتسمها كما يقتسم الجياح مأكلة يكون الداعى إليها مجهولاً ، فاقطعت كل دولة ما شاءت وجارت تلك الدول على نصيب مصر وأملأها فى قلب أفريقيا وشرقها . ولم تكن الدولة المصرية ترمى إلى احتلال الحبشة أو اذلالها ، ولعل يداً أجنبية هى التى دفعت بمصر فى هذا المأزق ، وهى التى تربطها بالحبشة روابط شتى ، منها وحدة العقيدة سواء فى ذلك المسلمين المقيمين

---

(١) جاء فى رسائل السودان التى نشرت فى مصر فى سنة ١٨٩٢ أن قائداً انجليزياً شهيراً هو الذى أوقع بين يوحنا واسماعيل بفتنة



في هرر أو النصارى المقيمين في بقية الحبشة ، وأصل دياتهم عن مبشر اسكندري في مستهل القرن الرابع . ومنها الجوار ، ومنها وحدة الأصل السامى واتحاد أصل اللغات التى تتكلمها الامتان ، ومنها العنصر التاريخى ، وتمجيد سليمان و بلقيس في القرآن وهما المقول إنهما مؤسسا الأسرة المالكة في بلاد أسد يهوذا وقصتهما من أجل القصص في القرآن الكريم وأروعا ، يسمعهما المسلمون وغير المسلمين صباح مساء فذكرهما لدينا في كل وقت حاضرة<sup>(١)</sup> . ومنها خروج النيل الأزرق وروافده من بحيرات الحبشة .

وإذن كان هذا التخاصم القصير المدى غلطة سياسية تكفل الدهر ، وحسن تدبير الشعبين بتصحيحها . وقد كتبت الأيام على يوحنا أن يكون ممثلاً لهذا الدور في التاريخ الحبشى الحديث ، فنحن لا نلومه ، لأنه كان يدفع عن وطنه هجوماً أجنبياً ، ولكننا نعيب عليه أنه لم ينجح في الوصول إلى صلح شريف يحو الخطأ السياسى ويربط أواصر الصداقة بينه وبين الدولة المصرية من جديد مع سبق اعترافه بها .

أما منليك الثانى امبراطور الحبشة الذى انتصر في موقعة عدوه الشهيرة فقد كتب له أن يكون الملك الكامل الذى تم على يده منهاج ثيودورس . وقد ولد الامبراطور منليك في سنة ١٨٤٤ ، وتولى ملك شوا في سنة ١٨٦٦ وتوج امبراطوراً على الأحباش في سنة ١٨٨٩ ، وانتصر في موقعة عدوه سنة ١٨٩٦ ، وتوفي في سنة ١٩١٣ ولم يرزق ذكوراً ، وتزوج من الامبراطورة تانوفى فرزق منها بنتين زوديتو (يهوديت) التى توجت امبراطورة سنة ١٩١٦ وماتت سنة ١٩٣٠ ولم تترك عقباً . وكان رحمه الله يعرف لآخر أيامه في أوروبا بأنه « بعبع » ايطاليا .

(١) في اسطورة حبشية أن منليك الأول هو أول سلالة سليمان وبلقيس وأنه جاء إلى الحبشة يحمل الواح موسى وهو طفل صغير ونزل اكسوم عاصمة الحبشة المقدسة .



ج — عبقرية منليك وقوة إرادته

كان منليك الثانى طويل القامة مهيب الطلعة ، جميل المنظر ربة بين الرجال ، متواضعاً وقوراً وعاش أربعة وسبعين عاماً وكان فى جميع أطوار حياته ما عدا شيخوخته ومرضه الأخير نشطاً ميالاً إلى العلم بكل شىء ، وبسبب هذا الميل ألم بأمور شتى وتعلم صناعات جمّة كالليكانىكا ، وخص الأسلحة حتى أصبحت فنون الميكانيكا والكشف عن عدد الحرب لديه من أسهل الأمور . وكانت نفسه مفطورة على العدل فكان يعامل جميع رعاياه بالمساواة ويحكم بينهم بالعدل ويجب لهم الخير ، فأجمع المسلمون والنصارى من رعاياه على حبه وعرفانهم بحميلة .

وكان له شغف شديد بفنون البناء ، حتى عده بعضهم أعظم مهندس معمارى فى الحبشة وقد رسم بيده أغلب رسوم المباني وكان يصف للقائمين بها كيفية السير بموجب هذه الرسوم ، أى أنه ينفذ التصميمات التى يضعها ، حتى استوجب نبوغه فى ذلك عجب الأوربيين ودهشتهم .

وقد تعلم من بعض الأطباء والصيادلة تركيب بعض الأدوية . وكان يوجد فى قصره رجال من المهندسين والصناع والعمال يقومون بالأعمال الصناعية والهندسية التى يتطلبها منهم وهو يحدث كلاً من هؤلاء بما يخص صناعته وفنه ، ويشاهد بنفسه ما يقومون به من الأعمال ، ويسأل عن كل مجمل ومفصل من المسائل التى لا يدركها ويطلب إليهم أن يصنعوا أمامه ما خفى عليه ، حتى يتقن علمه بالاختبار ، وقد استحسن أحذية الافرنج الذين كانوا يفدون عليه عند ما كان ملكاً على مقاطعة شوا فطلب مرة إلى أحد المهندسين أن يصنع له حذاء أمامه ليرى كيفية صنع الأحذية فاعتذر له المهندس بأنه لم يشتغل أبداً بصنع



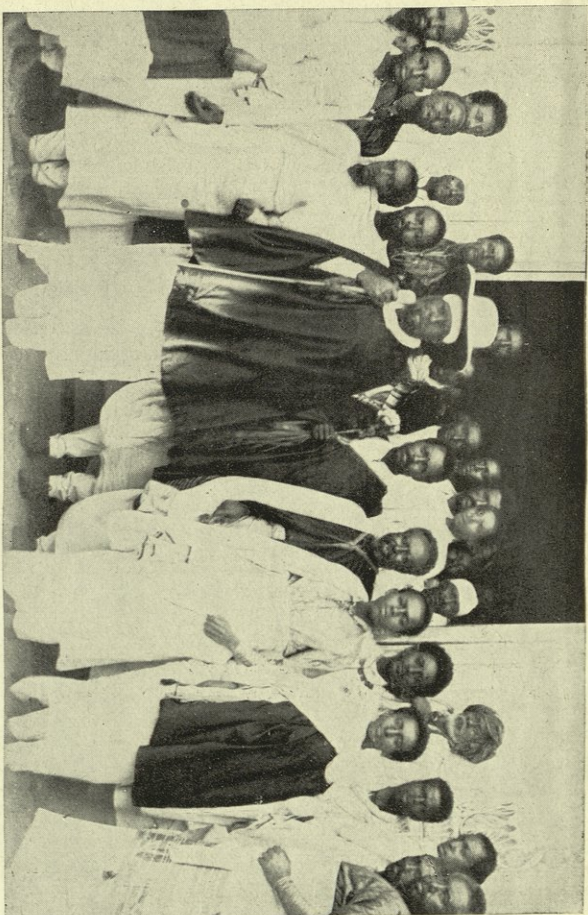
الأخذية ، فلم يرق هذا الكلام في نظر منليك وأصر على طلبه فلم يرَ المهندس بداً من تنفيذ أمر الملك فقام بتجهيز ما يلزم لصنع الأخذية وأوصى بصنع قالب خشب ، وحل قطع حذاء قديم عن بعضها ليرى كيفية صنعها ثم أحضر الجلود اللازمة وأخذ يشتغل بصنع الحذاء أمام منليك حتى صنع له حذاءً منها وكذلك نفذت رغبة الامبراطور التي وقف بواسطتها على كيفية صنع الأخذية .

وأمر مرة المهندس أن يصنع له بندقية تطلق بالخرطوش على الطراز الجديد وهو يعلم أن صنع هذه الأشياء في أورو با يكون أقل عناءً ونفقة ولكنه يطلب صنعها أمامه وفي بلاده ليقنع بإمكان صنعها في وطنه ويتأكد من معادنها وأخشابها وصلاحتها للصناعات التي ترد من أورو با .

أما مهارته السياسية والحربية فلم يكن فيها شك وقد اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء أما طريقة استيلائه على عرش شوا فهي أنه لما قرب الانجليز سنة ١٨٦٧ من مجيئهم تمكن منليك من الفرار منها وقطع الوديان والجبال الصعبة المرور وحيداً ليس معه أحد ولحق ببضعة آلاف رجل من رجال أبيه وأخصائه وقومه وقبيلته وكانوا في انتظاره فاستقبلوه ورحبوا به وسروا به فسار من هناك ومعه رجاله وجميعهم مسامون وهاجم أنوبدا با حاكم مقاطعة شوا المولى من قبل تيودورس فهزمه واستولى على بلاده ( شوا ) وصعد على عرش أجداده وأبيه .

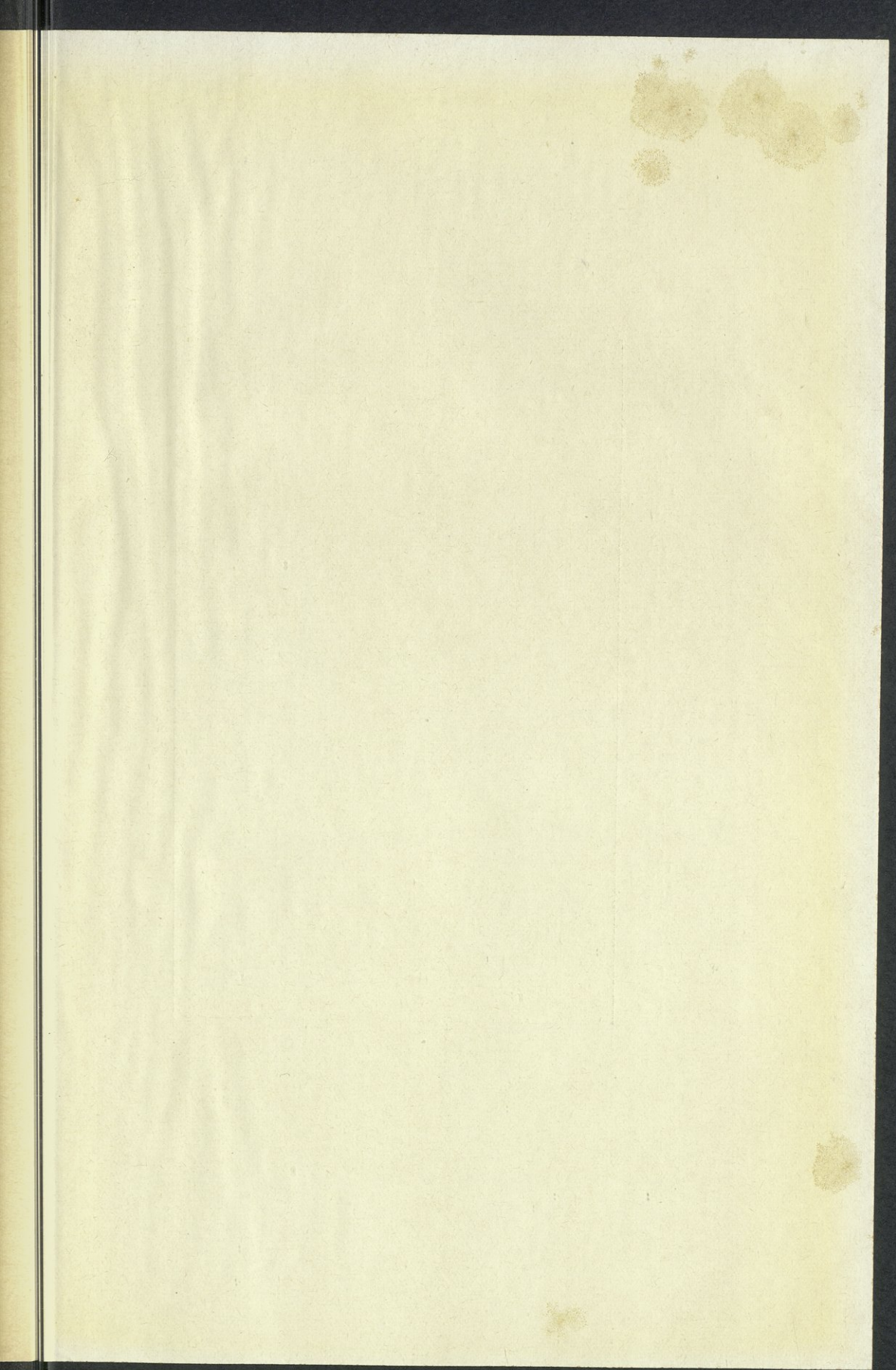
ومن هذا التاريخ انقطعت جرثومة الحروب الداخلية في تلك المقاطعة وأصبحت من ذلك اليوم أضخم جزء من أجزاء المملكة الحبشية . ولما صعد يوحنا إلى العرش الحبشى بدأت الخصومة بينه وبين منليك ولكن منليك حقن دماء الأمة وخضع ليوحنا مع أن انتصاره عليه لم يكن صعباً ، وما زال يحافظ على كيانه ويرد خصومه وقد انتقم له بعد قتله . وقد اجتمعت كلمة الحبشة على ترشيحه للعرش وتوحيجه ، فتم له ما أراد برغبة الأمة .





صاحب الجلالة الإثيوبية المنفور له منليك الثاني امبراطور الحبشة وقاهر الطليان في عدوة







د — خلفاؤه

وترك الأمبراطور الأميرة شوارجه التي تزوجت من الرأس ميخائيل الذي كان أصله مسلماً وانتحل المسيحية تقرباً من منليك الثاني ، فرزق من شوارجه بليج ياسو الذي عينه منليك ولياً لعهدده وتوج امبراطوراً سنة ١٩١٣ وخلع في سنة ١٩١٦ ، ويقال إنه مات في الأيام الأخيرة<sup>(١)</sup> . فكانه حيل بين ملكين شرعيين ، وهما ليجياسو وزوديتو ليصل الامبراطور هيلاسيلاسى إلى العرش وهو ابن الرأس ما كونين الذي يعادل منليك الثاني في شجرة النسب . فان ساهالاسيلاسى رزق هيلاملا كوت ووازيرو نتانا فولد لهيلاملا كوت منليك الثانى وولد لتنانا رأس ما كونين الذى ولد له هيلاسيلاسى ، فمنليك الثانى ورأس ما كونين أولاد عم وزوديتو تعادل هيلاسيلاسى في درجة القرابة وليجياسو بمثابة ابن الأخت لهيلاسيلاسى .

وليس هنا مجال البحث فيما إذا كان هيلاسيلاسى مقتصباً للعرش من ليجياسو أولاً ومن زوديتو ثانياً .

فإن ليجياسو عزل سنة ١٩١٦ بإرادة الحلفاء ، لأن سياسته كانت تجعله إلى الألمان والأتراك ، أقرب فسعى الفرنسيون في إبعاده بحجة أنه يبطن الإسلام ويظهر النصرانية بسبب أن أباه كان مسلماً وانتحل النصرانية طمعاً في نسب الامبراطور . وزعموا في ذلك الوقت أنه سافر إلى حدود الحبشة وقابل وفداً من تركيا بايعهم على الاخلاص لهم ، وأنه كان يلبس عمامة مكتوب في ثناياها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنه صلى صلاة المسلمين ونشر راية عليها نص الشهادة الاسلامية . فتقدم الحلفاء بالرأس تفرى ليحل محله وقامت بينهما

(١) ثبت أنه لم يمت بل نقل من سجنه إلى حصن بعيد عن مواطن الطليان لئلا يقع في يدهم فيكون أداة قوية ضد الأمبراطور هيلاسيلاسى



حروب دامية ، وانضم الرأس ميخائيل الذى كان لا يزال على قيد الحياة لولده ، ولكن تفرى انتصر فى النهاية وسجن ليحياسو وقيده بسلاسل من ذهب ، ولم يحكم عليه بالإعدام لأن تقاليد الأسرة المالكة فى الحبشة لا تبيح قتل الأمراء صبراً إلا عند الضرورة القصوى <sup>(١)</sup> .

وإذن تكون الأقدار قد اختارت الأمير تفرى ابن الرأس ما كونين ليتلقى الهجوم الأوربى الأخير على بلاد الحبشة ، فرفع بذلك عبء تلك المسؤولية الخطيرة عن كاهلى امرأة ورجلها زوديتو وليحياسو . وفى الحق إن بلاداً كالحبشة لا يحدث فيها أن يصل ولى العهد المعين من سلفه إلى العرش إلا نادراً بل يصل إلى العرش من يستطيع الوصول إليه بالقوة أو الحيلة ، لأن الأمم المتحضرة هى وحدها التى تستطيع أن تحترم تسلسل الأبناء والأحفاد على العروش وتحافظ على النظم الموضوعة لتتويج الملوك أو الملكات ، وتوليهم شؤون بلادهم فبينما ترى دولة كإنجلترا تحكمها فتاة هى الملكة فكتوريا ، ولما تبلغ نهاية العقد الثانى ، ويمتد عهد ملكها إلى أن تبلغ الشيخوخة الفانية ، وقد بلغت دولة بريطانيا فى عهدها من العظمة والاتساع والنفوذ والسلطان ما لم تبلغه دولة أخرى ، بل ما لم تبلغه إنجلترا نفسها إلا فى عهد الملكة اليزابت ، ولم يخطر ببال أحد أن يعرض على الملكة الشيخة أن تتنحى عن العرش ، وقد بلغ ولى عهدها ( الذى صار فيما بعد الملك إدوارد السابع ) من الكبر عتياً ، وشاب فوداه ولحيته وهو لا يزال ولياً للعهد ! كل ذلك ليس إكراماً لشخص الملكة ، أو عطفاً على شيخوختها ، أو تقديراً لجهادها ، أو تفاؤلاً بحسن طالعها لأن إنجلترا نالت فى عهدها ما لم تنله فى عهد سواها ، ولكن لأن الأمة وضعت نظاماً خاصاً بالملك وأرادت أن تحترمه ، وهذا ما لا يحدث فى معظم ممالك الشرق .

(١) تسربت هذه المعلومات إلينا فى كتب نشرها الفرنسيون والامان ومقالات فى جريدة الطان الشهيرة فى سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦



وفي نفس هذا الوقت كان سلاطين آل عثمان وأولياء عهدهم ووزراؤهم ورجال حاشيتهم يدبرون لبعضهم بعضاً صنوف المكاييد والمقالب فيخلعون من يخلعون بفتوى شرعية، يبادر بتقديمها جماعة السوفته (علماء الدين) بحجة أن السلطان خالف الشرع الشريف أو فقد عقله فاستحق العزل وإذا رُؤي الاستغناء عن الفتوى فإن كأس السم أو حد الخنجر حاضران للخلاص من أيهم ولا يزل مصرع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد وغيرهما سراً غامضاً

ولم يكن الأمر مقصوراً على سلاطين آل عثمان بل كان شاملاً لعروش الشرق جميعاً فكانت حظوظ هذه العروش وأصحابها في أيدي المصادفات والمطامع وأن هذا الداء دفين في الشرق وفي كل مملكة تشبه الشرق وقد سرى الداء إلى بعض ممالك البلقان فكان مصرع الملك اسكندر والملكة دراجا في عاصمة الصرب من أروع المصارع وأفظعها

وهذا لا يدل على أن أوربا لم تقع في مثل هذه المحن فان تاريخ إيطاليا لعهد الأمارات الاستبدادية حافل بها<sup>(١)</sup> كذلك حديث الرجل ذى القناع الحديدي لعهد لويس الرابع عشر، وتاريخ إنجلترا نفسه يدل على أنه في سنة ١٢١٥ بعد أن سافر ريكاردوس قلب الأسد إلى الشرق في حملة الحروب الصليبية وترك ولي عهده طفلاً بوصاية أخيه حنا، طمع حنا في الملك فاغتصبه وسجن ابن أخيه في برج لندن وسمل عينيه بالحديد الحمى ثم قتله في سبيل العرش المغتصب<sup>(٢)</sup>

وأمرت اليزابث بقتل الملكة ماري الأيقوسية

ولكن كل هذا يدل على أن بعض أمم الشرق وأمراءهم لا يزالون في هذا القرن والذي قبله في درجة من المدنية تعادل تلك التي وصفناها فالشرق في القرنين التاسع عشر والعشرين يعادل أوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

(١) راجع « تاريخ الجمهوريات الإيطالية » تأليف سيسموندى

(٢) شغل شكسبير بهذا الموضوع فصاغه رواية مسرحية



## ٩ — من موقعة قرع إلى موقعة عدوة

من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٦

في سنة ١٨٦٩ اشترت ايطاليا ثغراً صغيراً اسمه عصاب في شمال بوغاز باب المندب باسم شركة بحرية هي « فلوريو روباينو » وفي سنة ١٨٨٢ حلت الحكومة الايطالية نفسها محل تلك الشركة فنزلت بغير عصاب مستعمرة ايطالية واقامت، ثم أرسلت نائباً عنها يدعى الكونت انتونلي إلى الأمبراطور منليك الثاني على رأس بعثة ليعين تلك المستعمرة الايطالية فأكرم الأمبراطور وفادتها وعقد معها معاهدة صداقة كانت الضربة الأولى على الحبشة لأنها اعترفت بحق لايطاليا في بلادها وفي سنة ٨٥ احتلت ايطاليا بعض الثغور والجزائر أهمها مصوع التي كانت لمصر بحق تنازل الدولة العثمانية عنها للخديوي اسماعيل مقابل زيادة الجزية ، وكان ذلك بموافقة إنجلترا ، ثم اتجهت نية ايطاليا إلى تأسيس مستعمرة قوية في البحر الأحمر ، وكان هذا بداية تكوين الأريتريا التي أمست خنجراً في ظهر الحبشة من ذلك التاريخ إلى الآن

فان نفوذ ايطاليا لم يلبث ان انتشر وزاد فغضبه الملك منليك الثاني الذي كان لا يزال ملك شوا وزاد غيظه ان احتل الأميرال الايطالي شيمى ميناء مصوع ونفى منها المحافظ المصرى إلى السويس وأمر الحامية المصرية باخلاء المدينة وكانت هذه السياسة الاستعمارية تنفيذاً لخطه فرنسيسكو كريسبي أحد أتباع الثلاثة الذين بنوا ايطاليا الحديثة وهم متزيني وجاربيالدى وكافور ولكن بقدر ما كان هؤلاء السادة عظماء كان هذا الوزير سخيفاً فانه أراد أن يقلد إنجلترا في سياستها الخارجية ويت رسم خطوات بيكنسفيلد وغلادستون على ما كان بينهما من



الخلاف والتناقض ومن هنا كان الفشل الذى أصاب كريسبي فى سياسته والذى انتهى بهزيمة عدوه وسقوط وزارة هذا الرجل على أنه كان يبدو على خطة كريسبي أثر من النجاح فى بدايتها لو أن الملك يوحنا قاهر المصريين كان منفرداً بالسلطة فى الحبشة لأنه تساهل معهم وغض الطرف عن زحفهم ولكن منليك كان شريكه وأعلى منه مكانة فى السياسة وكهناً فى الحرب فأنبرى للطلليان وكلف أحد قواده بطردهم من البلاد وسير جيشاً إلى هرر فامتلكها<sup>(١)</sup>

وفى يناير سنة ١٨٨٧ التقى الجيش الحبشى بالجيش الايطالى فى دوجالى وكان الفرق بين الجيشين عظيماً فى العدد والعدد فهزم الطليان وقتل معظمهم وأسر بعضهم، وعادة الأحباش فى كل حروبهم أن يلقوا خصومهم بجيش يفوقهم عشرات المرات حتى يدخلوا الارتباك والاضطراب فى صفوفهم .

ووصلت أنباء هزيمة الطليان الى روما فسببت غضباً وطنياً كما حدث فى مصر سنة ١٨٧٤ وكذلك أعدت إيطاليا جيشاً قوامه اثنا عشر ألف عسكري كما أعدت مصر فى سنة ١٨٧٥ جيشاً قوامه ١٥٠٠٠ عسكري وأبحر جيش إيطاليا من نابولى يقصد الى ايرترىا وتوسط الانجليز فى الصلح فلم يفلحوا وفى مارس سنة ١٨٨٨ مرض قائد هذا الجيش فجأة فوقف عن القتال واستعمل الطليان حيلة للايقاع بين الأحباش والسودان والانجليز فلم يوفقوا وعرضوا على منليك أن ينضم اليهم فى القضاء على الملك يوحنا صديقيهم القديم فرفض عرضهم وقبل هداياهم من السلاح والمال

ومما يذكر لملوك الحبشة بالثناء العطر، ويكتب بمداد الفخر، أنهم مهما دب بينهم ديبب الشقاق فى شؤونهم الداخلية وتنافسوا على العرش فلا يتفقون مع

(١) بدا الضعف على يوحنا من ذلك الحين ، وما زال يتدهور إلى أن قتله البراويش وانتصروا عليه فى القلابات



الأجنبي على محاربة بعضهم بعضاً ، فان منليك على بغضه يوحنا واتهامه إياه بما زرة الطليان والتساهل لهم حتى أنشبووا أظفارهم في جلد الحبشة ولحمها ، أبى أن يناصر الطليان على يوحنا لأنه يعلم أن الطليان يستعينون به على هلاك احدى القوتين ثم ينفردون له فيوقعون به بدوره وتكون لهم عليه يد هو في أشد الغنى عنها لأن يوحنا مهما تقوى فلن ينال من منليك ما يناله الطليان منه بعد ذهاب يوحنا وأن في بقاء يوحنا الى جانب منليك استبقاء لقوتين تحاربان إيطاليا وهما على كل حال خير من قوة واحدة<sup>(١)</sup>

ولم يكن يوحنا قاهر المصريين بالملك الذى يستهان به فانه حارب التعايشى فى القلابات وهزم الدراويش فى المتمة ولكن شهر مارس الذى حمل له النصر فى سنة ٧٦ على المصريين جاءه بالبلاء فى سنة ٨٨ فخر قتيلاً فى ٩ مارس فى نفس ساعة انتصار الخليفة على جيش الأحباش . ولما كان الأحباش من أهل الفطرة الذين يفقدون رشدهم إذا فقدوا قائدهم فقد ركبوا رؤوسهم وفروا وتركوا جثة مليكهم وقائدهم بين يدى الدراويش فأمر التعايشى بدفنه بعد أن سلب كتبه وسلاحه وبعث بها الى عاصمة ملكه وانتهم منليك هذه الفرصة وقد حلت له الأقدار عقدة كان عن حلها عاجزاً فنادى بنفسه ملكاً على ملوك الحبشة

وكان الطليان متربصين وقد ظنوا أن الدهر قد حالفهم فاحتلوا مدينة دوجالى التى هزموا لديها وانتهموا فرصة الشغال منليك بنشوة النصر المعنوى والصعود الى العرش ففقدوا معه معاهدة فى مايو سنة ١٨٨٨ فى أوشيال وكان رجل إيطاليا لدى التعاقد هو أنطونيللى نفسه الذى اتصل بمنليك منذ أربع سنوات وظن أنه تخصص فى السياسة الحبشية

(١) أن ما يقال عن بقاء تقاليد سياسية فى إيطاليا تدنيها من مبادئ مكياڤلى صحيح لأن مبادئ مكياڤلى ثمرة أخلاق أمته من قديم الزمن ( أنظر كتاب الامير تأليفه )



ولكن هذا السفير الإيطالي أخطأ المرعى وخان الأمانة لأنه كتب بلغته ما لا ينطبق على ما كتب باللغة الحبشية وفسرت إيطاليا معاهدة أوشياى بأنها تبيح لها وضع الحبشة تحت الحماية الإيطالية ، لترهقها بالأمر الواقع

وكان منليك فى ذلك الوقت مشغولاً بأمرين الأول الانتقام للملك يوحنا من خليفة المهدي والثانى حفلة تتويجه فأتم التتويج فى سنة ٨٩ وعدل عن حرب الدراويش مؤقتاً واتهرت إيطاليا هذه الفرصة فزادت نفوذها فى الحبشة ببذل المال والهدايا للقواد وبلغت قوتها أقصى مداها فى سنة ٩٥ وأصبح مركزها ثابتاً لايزعزع فى أرتريا وكانت إيطاليا أرسلت فى سنة ٩٢ الى الحبشة بقائدين من أشهر قوادها ولكن وجودهما فى أريتريا لم يوهن من عزيمة النجاشى، ولم يعقه عن اعلان تخلصه من معاهدة أوشياى ورد قرض إيطالى بلغت قيمته أربعة ملايين ريال

وفى سنة ١٨٩٤ حارب الطليان الدراويش وأجلوهم عن مدينة كسلا التى تسيطر على الحبشة حريباً كما ذكرنا والتى تمكن من تكون بيده من السيادة المطلقة على ميدان عدوه إحدى عواصم الحبشة وكانت هذه الخطوة هى الأخيرة فى تنفيذ خطة الطليان الحربية للاستيلاء على البلاد بعد أن ملأوها بالرواد والجواسيس فجاسوا خلال المملكة وعرفوا مسالكها وممالكها ولكن هذا الاستعداد العظيم وتلك الدراية التامة بمفاوز الأحباش لم تغنهم فتيةً حيال ثلاثة أشياء تدرع بها الأحباش ودرعتهم بها الطبيعة وهى : الأول مفاوز الحبشة وجبالها التى حفت بالمكاره والمهاوى والمهالك كأنهم مار السيول وقلة الماء وانتشار الأمراض (١)

الثانى خطة الأحباش فى الحروب وهى ارباك العدو بجيوش جرارة تفوق جيوشه أضعافاً مضاعفة ، وطبيعة الحبشى الحارب الذى اشتهر بالخفة والدهاء

(١) فى برقية مضحكة من روما بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٣٥ أن قائداً إيطالياً خطب فى كهان أحباش فقال : « إن رجل إيطاليا العظيم يمكنه أن يزيل جبالكم ويقتل كل حى فى بلادكم !!! »



والاستدراج للعدو والاحاطة به من كل جانب وارهابه بالسيوف والرماح التي تقطر دماً ثم القسوة في معاملة العدو وكل من ظفر به والاجهاز على الأسرى .  
الثالث خضوع الجيوش الحبشية لقائد عظيم هو في الوقت نفسه زعيم وطني لا يعمل لجده الشخصي ولكن لينقذ الوطن ، وكان هذا القائد الزعيم والملك المغوار منليك الثاني فهزم الطليان في موقعة امبا الاجي فانتحر قائدهم توسيلي وكان يعين النجاشي في هذه الحرب الطاحنة وزيره ويده اليمنى القائد الرأس ماكونن (والد هيلاسيلاسي) فتمكن من حصار مكالي ولم ينسحب عنها إلا بعد أن أخذ من الطليان غرامة حرب قدرها مليون ريال .

وحاول براتيري أن يعقد الصلح فرفضه منليك وصحت عزيمته على منازلة الطليان في موقعة حاسمة فاستعد بالسلح الذي أمدته به بعض الدول الأوربية وحشد جيشاً قوامه ربع مليون جندي ، ولما أصبح على غاية الاستعداد وأخذ للموقعة الفاصلة أهبطه عرض على براتيري أن يدفع للحبشة ٢٥ مليون ريال وأن ينسحب إلى حدود ارتريا فرأى القائد الايطالي أن الشرطين بمثابة التعجير له ولدولته فرفضهما . ولكن إيطاليا عادت فندمت بعد الهزيمة .

وفي فبراير سنة ١٨٩٦ برز براتيري بجيش عدده ٢٠ ألفاً وسار قدماً إلى عدوه فلقبه منليك نفسه على رأس جيش يفوق على جيشه أربع مرات وكان القائد العام ادموندي يعاونه البيروتوني وديروميده والينه<sup>(١)</sup> .

وفي أول مارس سنة ١٨٩٦ تقدم القواد الأربعة بجنودهم إلى تلك الجبال العالية والصخور الشاخخة التي يحفظ الحبشان كل خطوة منها عن ظهر قلب فأحاطوا بالجيوش الايطالية وأعملوا فيها بكل سلاح حتى أجهزوا عليها في ساعات  
(١) أهم المصادر عن موقعة عدوه دائرة المعارف الانجليزية وجريدة التيمس ورحلة المؤيد الى الحبشة .



معدودة فخر الطليان أكثر من نصف جيشهم بين قتيل وجريح وأسر  
الأحباش النصف الآخر عدا ما وقع لهم من العناد والسلاح والذخيرة ومنها  
سبعون مدفعا ، ووضع الأحباش يدهم على المعسكر كله ، وقتلوا قائدين وأسروا  
الثالث وأسرع الجنرال بارتيري الى أحد الثغور فطير نبأ الهزيمة إلى روما ناسبا  
الخشارة إلى جنوده وأسرع بالفرار إلى وطنه فقابلوه شر مقابلة وسقطت وزارة  
قومه وعقد مجلس حربي عالٍ لمحاكمته فحكم ببراءته ودمغه بحيثيات قضت على  
حياته نص بعضها ما يأتي « وحيث أن المجلس يرى أن اللوم في الهزيمة واقع  
على من اختار هذا الرجل للقيادة وهو لا يصلح لها وأقل من أن يتولاها فلا  
لوم عليه ولا تثريب<sup>(١)</sup> » وفي الحق عُدَّ هذا الحكم بمثابة موت مدني .

وبعد أن تم النصر للحبشة واستولى منليك على أسلاب الجيوش المهزومة  
اقتفى أثر الغلول الهاربة إلى ارتيريا فمر بحدودها ووضع يده على حصن ادرجى  
واستولى عليه وأخلى الطليان من تلقاء أنفسهم مدينة كسلا وحاولوا أن يجمعوا  
جيشا جديداً ولكنهم عجزوا عن القتال بعد أن دب الرعب في قلوبهم .

وكان منليك قد أنشأ مدينة أديس أبابا ومعناها بالحبشية الزهرة الجديدة  
وجعلها عاصمة ملكه فأرسل الطليان إليها في اكتوبر سنة ٩٦ وفداً لعقد الصلح  
فكانت أشبه بسدان سنة ١٨٧٢ وفرنساى سنة ١٩١٩ فعقدت المعاهدة وقد  
نص فيها على إلغاء معاهدة أوشالى وهى أصل البلاء لأنها أسست على الخلداع  
وتغيير الحقيقة وجنى كريسبي وأنطونيلي ثمرات أعمالها !

وعاش منليك بعد ذلك الفوز ١٧ سنة كان أثناءها موضع الاحترام والتقدير  
في أفريقيا والشرق ومصدر الرعب في بعض ممالك أوربا ولا سيما إيطاليا .

(١) دائرة المعارف البريطانية المطبوعة الجديدة تحت كلمة معركة « عدوه »



## ١٠ — النظام الفاشي ومشكلة الحبشة

لا نريد أن نعرض للنظام الفاشي بخير أو بشر ، حتى ولا بالنقد البريء المباح ، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل . وإن كنا نحترم السياسة ونقدرها ، ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق ، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذي قد لا يغتفر . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الفاشي الذي ابتكره السنيور بنيتو موسوليني المعروف في العالم باسم الدوتشي أى الزعيم قد أثبت وجوده وقدرته على الحياة فقدم بذلك البرهان التاريخي الذي لا بقاء لنظام اجتماعي أو سياسي بدونه وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدّى لوظائفهم خدمة جُلّ وقضى على شروور كثيرة وجلب خيراً وبيعاً ودلّ بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى . وقد أثنى عليه كل من شهدته وجنى شيئاً من ثماره داخل ايطاليا ، وقد قلب ايطاليا رأساً على عقب وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض ، وإن الذين زاروا ايطاليا قبل تفشيهِ ، يكادون لا يعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه لأنه صبح كل شىء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمان المطلق والأمانة المطلقة .

ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كلمة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد ، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قومى وخطب سنيور موسوليني نفسه فى سنة ١٩٢٨ وقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير ، ولا تضمن نتائجها خارج حدود ايطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعاً أو حتاً للأمم على الاقتداء به ، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها . ولم نسمع بصاحب مذهب سياسي أو اجتماعي قبل



الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته ، بل على العكس تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة المطلقة والنجاح المطلق فى كل زمان ومكان . وإذن لا بد أن يكون سنيور موسولينى قد ذكر هذا القول عن مذهبه لحكمة خفيت على سامعيها فى ذلك الحين

وأظن بعض الناقدين لحوا إليها عرضاً فى كتبهم فقالوا إنه نظام جميل ونافع ولكنه يجعل الأمة معلقة باهداب رجل بعينه ، فان شاخ أو مرض أو مات ( مد الله فى أجل الدوتشى ليجنى ثمار أقواله وأعماله فى الأولى وفى الآخرة ) إذن لتعطلت الأداة الحكومية وتلكأت فى انتظار ظهور خير خلف لخير سلف ! فى حين أن الواجب يقضى بأن تكون القوانين العامة والخاصة هى الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص . ومما لا ريب فيه أن هناك نظريات متعارضة فيما يتعلق بالقوانين وطريقة تنفيذها ، فقد يكون القانون الردىء أداة حسنة فى يد رجل فاضل ، كما يكون القانون الطيب أداة سوء فى يد ظالم أو مستهتر . وسوف يعالج المؤرخون فى المستقبل مسألة الفاشية هل قامت على عنق رجل واحد وتفكيره ، أم قامت على دعائم قوانين عادلة فاضلة ، أم أنها نهضت بالأمرين معاً : الرجل الفاضل والزعيم الكفو والقوانين المنصفة ؟

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فان الكثرة من الكتاب أجمعت على نفعها فى مسقط رأسها ، والقلة المدركة ، ومنها من أودى وهاجر باختياره أو نفي مرغماً ومنهم من ألّف كتباً صوب فيها سهام نقده الى الفاشية .

ونحن مع محافظتنا على الحياد الذى أعلنه فى مستهل هذه الكلمة نعتقد أن الفاشية وان نجحت فى الداخل ، فلم تجد لها نصيراً فى الخارج ولم يفز مقلدوها بباطل ، لا فى انجلترا ولا فى ايرلاندا . ولا يصح القول بأن الهتلرية نوع من



الفاشية ، وان كانت تشبهها في تفرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذى يفرق بين الفاشية والهتلرية هو أن الأولى قامت باسم الإصلاح الداخلى ، والأخيرة قامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبى والخلاص من قيود معاهدة فرساي ، واذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لغاية تختلف عن غاية الفاشية الإيطالية ، دع عنك الاختلاف فى أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما .

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولا شقيقتهما الصغرى ، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربى والسياسى لألمانيا فى القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين . أما الفاشية فهي فكرة مبتكرة قامت فى ذهن رجل واحد ظن أنه يصلح شعبه بتنفيذها ، ووجد من نفسه شجاعة وإقداماً وعزماً فآثر فى نفوس معاصريه من مواطنيه ، ولا سيما الشبان منهم والطامحون إلى الأعمال والمتلهفون على المجد ، والمتشربون لمنقذ يظهر فجأة فى أفق الوطن الذى كان خالياً فى تلك الفترة من رجال عطاء ، أو ممن لديهم قدرة كافية على التقدم للزعامة<sup>(١)</sup> .

ولما كانت أوروبا بعد الحرب العظمى قد أصبحت نهباً بين الديكتاتوريين ( ولا أحب أن أصفهم بالطغاة ) فظهر بريمو دى ريفيرا فى أسبانيا ، وبانجالوس فى اليونان ، وبلودوسكى فى بولونيا ، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمنة فى فرنسا . وفى ظلال هذه الديكتاتوريات قامت الفاشية ، وأضافت إلى قيصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذى . وقد يجد الباحث فى نشأة الفاشية ما يدل على أن الزعيم الإيطالى لم يكن يرمى إلى امتداد النفوذ الفاشى إلى ما وراء الإصلاح الداخلى الذى كانت إيطاليا فى أشد الحاجة إليه عقب الحرب الكبرى ، وابتداء عهد الاشتراكية فى شمال إيطاليا .

(١) أغلب النقاد على أن الفاشية وليدة الرأسمالية والرجعية متضافرتين ضد الاشتراكية وحرية الفكر راجع ( مجلة كوارترلى ريفيو ومطبوعات مارتين لورنس الخ )



وقد تمكن الزعيم الإيطالى فى مدى عشر سنين من تنفيذ النصيب الأوفر من الإصلاح الداخلى . فأنهض الشعب ، وأوجد له مثلاً علياً جديدة ، وأدخل فى روعه أنه سليل أمة مجيدة كانت لها امبراطورية مترامية الأطراف . وتضافرت بعض الظروف التى لم تكن فى الحسبان ، وهى نتيجة الحالة السياسية العامة فى أوروبا التى أعقبت الحرب العظمى ، فجعلت لإيطاليا مكانة أوشكت أن تضع فى يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما عند ظهور النازى وانتصار الهتلرية . وبعد أن كانت شهرة الفاشية مقصورة على مناهج الإصلاح الداخلى تعدت إلى السياسة الخارجية . ويظهر أن بعض دول أوروبا تراخت فى تأييد نفوذها لانشغالها بالمسائل الخارجية ، وجدت مشاكل فى الشرق والغرب مثل حرب منشوريا وتفوق اليابان ، ورجوع أوروبا فى غير وعى إلى سياسة الانقاقات السرية ، ونسى ساستها أنهم عند ما أنشأوا عهد عصبة الأمم قضا على سياسة المعاهدات السرية ، وفشل مؤتمر نزع السلاح ، وفشل المؤتمر الاقتصادى ، وأمست لوكارنو حلماً لذيذاً ، وقضى الموت على سترسمان وبريان وكانا ضماناً قوياً ضد الحرب ، وتسلحت المانيا وترعزت ثقة عصبة الأمم فى نفسها ، وانسحبت منها بعض الدول العظمى ، وهددت أخرى بالانسحاب . وتلبد جو أوروبا وظهرت بروق ورعود ، وأوشك الميزان أن يختل ، واغتال الفوضيون بعض الملوك ، وحدثت ثورة اليونان ومالت النمسا نحو الملكية .

فاشتم العالمون ببواطن الأمور رائحة البارود بعد ثورة النمسا وأعدت بعض الدول أساطيل هوائية قوية ، وكان العالم يتخيل أن مستقبله فى السلم والحرب سيكون فى الجو لا فى البر والبحر<sup>(١)</sup> وشعر الزعيم الإيطالى أن هناك

(١) كتاب ج . ه . ه . ولز « كيف يكون العالم فى المستقبل » لندن سنة ١٩٣٤ وهو أهم مؤلفاته بعد التاريخ العام



فرصة سانحة للحملة الحبشية في خفاء وهدوء ، لأن العالم مشغول بأمور أخرى غير أفريقيا الشرقية ، ومن هنا بدأت المشكلة الحقيقية لأنه لو لم تكن النية معقودة في إيطاليا على حرب استعمارية كبرى ما تشددت إيطاليا كل هذا التشدد ولا نخلت العقدة بالتحكيم الذي حاولوه مرات عدة ، ولو أن عصبة الأمم احتفظت بهيئتها لخشيت إيطاليا عاقبة التماذي في مخالفة الرأي الدولي العام . ولكن علم إيطاليا بدخائل الأمور في العصبة وفي وزارات الخارجية شجعها على الاقدام مع شيء من الجازفة . وتهانوت الدول وأهملت وأهملت واستمر الاستعداد وحشد الجيوش وجمع الذخيرة وتحميس الرأي العام في إيطاليا وهو يكاد يكون كتلة واحدة . وليس في إيطاليا للعمال أو الاشتراكيين صوت مسموع ، وإلا لقالوا كلمتهم ضد الحرب ، ولكن اخفات الأصوات ليس معناه أنها غير موجودة<sup>(١)</sup> .

ولكن كثيرين من الساسة والأذكياء وذوى الرأي خطأوا هذه السياسة لأسباب لا تعد ، وما زالت الحال على ذلك حتى حدثت شبه عزلة دولية ، فلا الأمم ولا الحكومات حتى التي كانت تعطف على إيطاليا استمرت على ولائها ، ولعل حوادث التاريخ المقبلة تدل على أن أصدقاء إيطاليا الذين وقفوا في وجهها هم أشد إخلاصاً لها من الذين شجعوها ( إن كان هناك من شجعها على خوض تلك المغامرة ) وقد نتج من كل ما تقدم أن ظهر خطأ السياسة الفاشية في التفكير في هذه الحرب والاستعداد لها والتصميم على خوض غمارها مهما كانت النتيجة .

---

(١) من إخفات الأصوات ما حدث في أول عهد الفاشية كإغتيال النائب المحامي ماتيو توتي زعيم المعارضة وقد تعقبته الأحزاب الحرة في أنحاء العالم وسجلت الاعتراف الذي صدر في المجلس النيابي على لسان أكبر المسؤولين بأن « ضرورات السياسة تبيح ما حدث »



## ١١ — الزعامة الحديثة وانقياد الأمم

### والفرق بين البطولة والزعامة

ينظر الملاحظ الآن إلى الحبشة ، ويعتبرها بعضهم قلب العالم الذي يخفق ، كما ينظر إلى إيطاليا وما هي مقبلة عليه بعد ما بذلت من صنوف الاستعداد واتخذت من وسائل ، فلا يتبين الناظر في الحالتين شعبين في الشرق والغرب يخوضان حرباً طاحنة ، ولكنه يتبين زعيمين كبيرين أحدهما رفعه إقدامه وسعة حيلته من مصاف الأمراء إلى دست الملك وعرش الامبراطرة ، وقيل أنه سبط يهوذا وسلالة الملك سليمان الحكيم من بلقيس ملكة سبأ ، وهو يمثل أمة من أعرق الأمم في حب الحرية والذود عن حياضها ، والثاني رجل من الشعب نشأ نشأته وعانى في بداية حياته ما يعانى أمثاله حتى بلغ ذروة السلطان في وطنه ، وبلغ قمة الجهد والنفوذ بين بني جلدته . وهو الآخر يمثل أمة كانت من أعرق الأمم في الجهد الحربى والسياسى ، وكانت لها السيادة على العالم في عصر من أعج عصور الحضارة الوثنية ، ولكنه تقلب في مواطن الأحزاب ومذاهب السياسة . ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا تطاولاً بين الزعماء ، ومظهراً لقوة إرادتهم ، ودليلاً على رغبتهم في الفوز والانتصار على مزاحمهم ، في ميادين الجهد وعلو الصيت وضخامة الشهرة . وخصوصاً في البلاد التى لا تكون فيها الأمة مصدر السلطات .

ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر في نفوس بنيتها . ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف كيفية استعمال هذه المؤثرات والعوامل



التي تؤثر في النفوس ، فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح للزعامة إلى تلك العوامل وكيفية استعمالها تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الارادات الفردية حول فكرته الخاصة و ارادته .

وهيات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مسحوراً بالفكرة التي صار داعياً إليها حتى تستولى عليه ، استيلاء لا يرى معه الا الفكرة التي ينادى بها . وبدون هذا « الإيحاء الذاتي » لا يمكنه أن ينجح في التأثير في أذهان الجماهير ، لأنه لا شيء يحرك همته مثل مظهر الإيمان الذي يبدو على شخص الزعيم ، وان يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ في صدق الآراء وصحة النظر، الا أنهم من أهل الهمة العالية وذوى الاقدام والعمل .

والفرق بين الفيلسوف والزعيم هو أن الفيلسوف كثير التأمل، والتأمل يؤدي الى الشك ، والشك ينتهي بصاحبه الى السكون ، دون الحركة لأن الحركة لا تصدر الا عن تصميم الارادة وهذا لا يكون الا ثمرة لليقين . أما الزعيم فلا يتأمل ولا يشك وحينئذ لا يركن الى السكون ، بل يدفعه عدم التأمل الى التصميم فالحركة وإذن تكون قوة الارادة للزعيم أنفع من سلامة الرأي وصدق النظر وحسن التبصر في العواقب ولكن الذي يفقدونه من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم في سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغي إلا لذوى الارادة القوية الذين يتسلطون عليها ويملكون زمامها ، فاذا ما أصبح صوت الزعيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت ارادتها في ارادة الزعيم ، وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذى الارادة المتحدة .

وأول ما يصنعه الزعيم هو أن يخلق المعتقد في النفوس ، سواء أ كان المعتقد سياسياً أم دينياً ولكن هذا المعتقد الذي يخلقونه في نفوس الجموع يكون دائماً قد



نشأ وترعرع ونبت ونما في نفوسهم . وأصحاب العقائد الجليلة لم يستطيعوا جذب القلوب إليهم إلا بعد أن ترنحوا هم بتأثير الفكرة التي أرادوا انتشارها ، فأوجدوا بقوة إرادتهم قوة التصديق التي هي الإيمان ومن كان مؤمناً زادت قوته أضعافاً فإلإيمان قوة عند الزعيم وقوة عند الأتباع من المؤمنين بصدق الزعيم

ولا تخلو أمة من الأمم في وقت من الأوقات من القواد ، غير أنهم جميعاً ليسوا من أهل الإيمان الصادق الذي يرتقى به صاحبه فيصبح رسولاً في أمتة ومبعوثاً لبني جنسه ، بل أن منهم رجالاً يحسنون القول ويتقنون الدعاية لأنفسهم ولا يلتمسون الزعامة إلا سعيّاً وراء منافع أشخاصهم فيوقظون في أخلاق الأمة مرا كز الشهوات ومشاعر الأهواء ليكسبوا رضاء الطبقات النازلة وقد تتسع دائرة نفوذهم وتنمو قوتهم ولكن أعمار أمثال هؤلاء الزعماء قصيرة وأعمالهم سريعة الزوال إن الزعامة في أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد ، والمشاهد أن الذين قاموا بكبريات حوادث التاريخ أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين لم يكن لهم حول ولا طول سوى العقيدة ، سوى الإيمان ! ولكن متى وصل الزعيم إلى غايته احتاج إلى الاستبداد ليحتفظ بها .

لا ننكر على الفريق الأول مظاهر الحدة والشجاعة والإقدام ، ولذا تراهم سكارى بفكرتهم ، قد أطاعوها فامتلكتهم قبل أن تمتلك أتباعهم ، وتراهم يجذبون الجماهير كما يجذب المغناطيس الحديد ، فتترامى الدهماء والعامة في أحضانهم ، ويعتقنون مذاهبهم بدون تأمل أو تفكير .. ولو كانوا محاربين ، فإن الجيوش تنقاد لهم انقياداً أعمى ، وقد يكون بين رجالهم وقادتهم من هم أقدر منهم وأكفأ في فنونهم ، ولكنهم لا يكادون ينتهون مما نذبوا أنفسهم له حتى تتوارى تلك المواهب ، ويدخلوا في الصفوف كبقية الخلق .



والفريق الآخر قد يكون أفراده أقل فخامة وأبهة في الشكل والمظهر ، ولكنهم أدق تكويناً ، وأوسع دائرة ، وأقوى نفوذاً لأن لهم موهبة الدوام .

### اعتماد الزعماء على الخطابة وتثبيت دعوتهم في الأذهان

ويعتمد الزعماء جميعهم في تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة . وكل زعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير في الجماهير ، ومنذ عهد سقراط الى يومنا هذا مرت العصور بزعماء ملكوا زمام أتباعهم بقوة الكلام حتى أن الأديان المنزلة بعثت لها العناية بأنبياء فصحاء حكماء وزودتهم بكتب منزلة . وحتى موسى عليه السلام طلب من الله أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله . وكانت عمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ في أذهان سامعيها ، وإذا أنت رجعت الى خطب زعماء الشعوب فلا تجد الا المعاني نفسها قد أفرغت في قوالب شتى وذلك لأنهم يعلمون بغريزتهم وادراكهم الباطني أن التكرار يترك أثراً عميقاً في أذهان الخاصة والعامة على السواء ، وكما ينتقل الفكر من عقل الزعيم الى عقل السامع فهو يثبت ويرسخ لأن ذاكرة السامع تتشبث به

فالزعيم حاذق في حفر فكرته في أذهان أتباعه . فاذا فاز الزعيم في غرس فكرته في أذهان البعض فقد ضمن الفوز على الجميع بحكم العدوى المعنوية والتقليد وهما قوتان عظيمتان كاثنتان في الجماهير تدعمان مواهب الزعيم وتشدان أزره . وقد تبدأ الأفكار في الطبقات النازلة ثم ترتقي إلى الطبقات الوسطى فاعلياً مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية واراتقامها من طبقات الشعب الى الوزراء والعلماء وكذلك الأديان فانها تنتشر أولاً عند المظلومين والمعوذين والمحتاجين الى استعادة كرامتهم وحقوقهم وهذا سر انتشار النصرانية بين الضعفاء والفقراء ،



وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العطاء فصار منهم اشتراكيون متطرفون وكان عدد الذين دخلوا في زمرة الاسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء مكة والجزيرة لأنه دين مساواة « وأكرمهم عند الله أتقاهم » فاستظلوا بسلطانه عليهم .

فالعمال لا يخضعون والزراع لا يطيعون أحداً إلا إذا كان ذا نفوذ قوى عليهم ، ولأن الأفراد اذا اجتمعوا شعروا بالحاجة إلى الطاعة وهم يخضعون لمن ادعى السيادة عليهم .

وقد أدت تلك الحالة ، وضعف الحكومات في بعض ممالك أوروبا إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة . ومحو تلك السلطات وتلاشيها في أشخاصهم وقد تجلت الزعامة الحرية في رجال أمثال نابوليون بوناپرت الذي جمع بين صفات الزعامة ، كقوة الإرادة والقدرة على اقناع الجماهير ، وبين الكفايات الحربية والسياسية التي أهلتته إلى الانتفاع بمواهب الزعامة في إنتاج أعمال مشمرة لوطنه ولنفسه .

وقد دلت دراسة أخلاق الزعماء ونفسياتهم على أن نوعاً منهم حبه الطبيعة بالحزم والعزم والإرادة الثابتة ولكنها منحت تلك المواهب إلى حين ، وهؤلاء يشبهون النجوم ذوات الأذنان التي لا تلبث أن تظهر وتخترق الجو في سرعة مدهشة حتى تختفي . أما النوع الآخر فقد حبه الطبيعة بالمواهب الكاملة وقوة الإرادة مع الثبات والدوام والاستقرار ، فالنوع الأول أمثال رو بسبيرو غاريبالدي وميرابو ودانتون والنوع الثاني أمثال الأنبياء وكبار المصلحين .

وان هذا الرأي لا ينافي الحقيقة الواقعة وهي أن أصل الأفكار الكبرى المحركة للعالم تبدأ عند العطاء ثم تنتشر رويداً في الدهاء ثم ينتحلها الخاصة بحكم التقليد أو الاقتناع الوقتي أو الاضطراب حتى تصبح حقائق راسخة .



وقد تمضى حقبة طويلة لتنام هذه الدورة العجيبة .

فإذا ما بث الزعيم من أى نوع، فكرته فى اتباعه أمست له عليهم سيطرة وسلطان ونفوذ وهذه المظاهر تولد الطاعة والاحترام حتى يصل إلى أعلى درجات الإعجاب التى تشبه العبادة ولذا ترى القرآن يذكر النبى والمؤمنين بأنه مذكر وليس عليهم « بمصيطر » أى منفرد بالسلطان ، ولكن السيطرة المعنوية كائنة لا ريب فيها ، وهذه السيطرة واسعة النطاق حتى أنها تدب فى نفوس التابعين فى حضرة الزعماء وغيتهم وحتى بعد موتهم تكون لهم طاعة تامة فيمتد سلطانهم إلى ما بعد الموت بمئات السنين أو ألوها وقد يقوى هذا النفوذ كلما تغلغت آثار الزعيم العظيم فى أحشاء الزمان كما هو المشاهد فى تأثير الأنبياء وكبار القادة والحكماء فيكفى أن تذكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أو عدل عمر أو صداقة أبى بكر أو حكمة سقراط أو هيمنة بونابرت حتى تستعيد ذكراه وأعماله فيكاد يكون لديك مائلاً . وإذا سارت فكرة السيطرة فى النفوس قضت على فكرة الانتقاد أو الحاسبة فيسمى كل ما يقوله الزعيم ويفعله أو ما قاله وفعله ، فوق البحث وبعيداً عن دائرة التمهيص ، ويمسى الأتباع أو المؤمنون كأنهم مسحورون ، ولذا وصف القرشيون محمداً بأنه « ساحر » لا لبلاغة القرآن فقط ، بل لقوة الرسول فى اجتذاب القلوب وتأليفها . وهذه السيطرة قد تستمد من شخصية الزعيم كما كانت الحال لبونابرت أو من مكانته فى المجتمع وشهرته بعلمه أو منصبه أو ماله . وهذا هو السر فى اختراع الأزياء الرسمية والملابس المزينة والأوسمة والنياشين والعلامات الدالة على الرتب ، ولكن هذه الوسائل المصطنعة لتكوين السيطرة وخلقها فى النفوس لا حاجة بها لمن حبتهم الطبيعة بالقوة الشخصية الجذابة التى لا تحتاج إلى كلام أو وعيد أو تهديد . أو ثياب مزركشة تجعل لابسها كالتحليل المطهمة !



ومن هذا القبيل ما وقع بين محمد وعمر بن الخطاب ، فان نظرة من النبي كفت ، لتغيير قلب عمر فقد كان أشد الناس بغضاً له ، ثم انقلب من أخلص أصدقائه وأطوع أتباعه ، وهذه القوة الجذابة تحير الناظر اليها وتوقع في قلبه الرعب وما تزال الحيرة والرعب حتى يتمكن حب الزعيم من قلوبهم .

ثم يأتي النجاح ، فيتوج عناصر المجد التي يحتاج اليها الزعيم ، فيفرح أتباعه به ، وتتوطد أركان محبته في قلوبهم فيؤمنون به ويضحون بأنفسهم في سبيله لأنه يصبح حقيقة خالدة ثابتة لا تهتز ولا تتزعزع . وقد يكون النجاح وحده سبباً للعظمة ولا احترام الجماهير ، لأن النفس البشرية مفطورة على الإعجاب بالنجاح « ولأم الخطيء الهبل » ليس عند العرب وحدهم بل عند كل الأمم . فاذا كان كل عماد الرجل في السيطرة على ما يواتيه من النجاح فان هذه الدعامة ضعيفة بل منهارة لأن النجاح أمر وقتي وليس مضموناً دائماً ومن يصادفه النجاح اليوم قد يخطئه غداً .

ولكن الزعيم الصحيح هو الذي يعتمد على مواهبه الفطرية ثم يأتيه النجاح فيزيده سلطة ونفوذاً ، ولكن هذا النفوذ لا يجوز أن يكون عرضياً بحيث إذا تركه النجاح يوماً فلا يقلل ذلك الاخفاق من سلطانه على النفوس . وقد رأينا في تاريخ الزعماء أن الفشل لا ينال منهم ( موقعة أحد في تاريخ محمد عليه الصلاة والسلام ) ، بل قد تنقلب العادة فيقوى مركزه بالفشل لأنه يعد نفسه لنجاح أعظم وأبهر من الذي فقده .

وقد نعلم الشعوب أرباباً بقبرها !

وكثيراً ما يحدث أن تتخذ الجماعات ، أو الأمم رجلاً عادياً ضئيلاً ثم ينسبون إليه من العظمة والجبروت ما هو مستعار من أحوال عصره ، وظروف وقته ، فيكون الوقت هو الذي أحدثه وشهره ، فهو ابن الوقت ، وكل ما جرى



على يديه هو من فعل الوقت لا من فعله . وأكثر ما تكون هذه الظاهرة عقيب  
الفواجع الكبرى في التاريخ كالحروب العظمى ، وحلول الحيرة في أذهان الأمم  
محل الهدوء وحسن النظر ، ولا سيما إذا كانت الأمم التي يظهر فيها أمثال هؤلاء  
الزعماء أو الأبطال خارجة مهزومة من حرب ، ومكتومة الأنفاس بفعل أرباب  
رؤوس الأموال ، الذين يخشون تفوق المذاهب الاجتماعية الحديثة كالاشتراكية ،  
فهم يموتون في جلودهم خشية توزيع الثروات أو ضياع أماكنهم الدافئة المطمئنة  
فيتشبشون باهداب أصال المخلوقات وأضعفها إذا كان أحد هؤلاء الضعفاء  
مصوبو غاً بصبغة المغامرة والمجازفة ، أو مطموراً في حفرة اليأس ، ويريد هو  
الآخر أن ينجو بجلده من الفاقة ، وأكثر ما يوجد هذا الصنف من الرجال بين  
أدعياء السياسة ، والمتهالكين على درجات سلم الوصول إلى المال والمنصب ،  
ويكونون عادة من ذوى الأعصاب المنهكة والقوى المتداعية فيدفعهم اليأس  
والضعف والمرض إلى الاستهتار بالحياة فيلعبون بالورقة الأخيرة ، ويطلقون  
الخرطوشة الأخيرة ، وينزعون القميص الأخير ويخرجون بالجملة من جلودهم  
كما تخرج الثعابين والأفاعي فيقبلون لنويهم وأصدقائهم بالأمس ظهر المحن  
ويتخلعن عن المبادئ التي كانوا يقدسونها بالأمس ، ليجدوا سنداً وعضداً  
من خصوم اليوم الغابر ، وهؤلاء يجدون فيهم أدوات صالحة لتنفيذ غاياتهم ،  
وما عليهم إلا أن يظهروا لأهل الأمس بالمعاداة والمقارفة والمعاكسة والمشاكسة  
ويبادروا أول ما يبادرون إلى إلقاء أصدقاء أمس الدابر في المهالك تحميساً  
وقتلًا واغتيالًا وتحقيراً ونفيًا لأنهم هم الواقفون على أسرارهم والمعمون بأخبارهم  
والعالمون بما ظهر وخفي من أمورهم ، وفي الأغلب يكون ما خفي هو الأعظم !!  
ومهما يظهر من الخير على أيدي هؤلاء فإنه وقتئذٍ وزائل ، كالزرع الذي



يختلقه « الحاوى » نمو لساعته وتحت أبصار النظارة ، ويزكو فى أرض غير خصبة بغير بذور ولا « تقاوى » ولكنه لا يلبث أن يذوى ويدبل ويتلاشى ويختفى ويغيب عن أعين المعجبين به . ويتلوه القحط والعياذ بالله والخراب ! والحقيقة أنه ما كان عصر من العصور ليخرب ويتلف لو أن أتيح له رجل كبير يجمع بين العقل والتقوى ، بين عقل يعرف به حاجة العصر ، وعزم يمضى به فى إبلاغ العصر حاجته ، وفى هذين صلاح العصر وفلاحه . ولكن العصور الحديثة ، ولا سيما بعد الحرب الكبرى من ١٩١٤ الى ١٩٣٥ ظهر أنها عصور ضعيفة واهنة ، مصابة بالبلاء والحيرة والشرور والخبائث بسبب علة أذهانها الشاكة المرتابة العاجزة ، وأحوالها المختلطة المضطربة يحدوها سائق الشقاء إلى غاية التلف ... نشبه كل هذا بحطب يابس ميت ينتظر من السماء شهاباً يشعله ، فإذا ما ظهر نيزك من النيازك الخلابية ، التى تحترق الأفق وتنحدر منحرفة ، ظنوه ذلك الشهاب الثاقب ! وسرعان ما يترامون على وهمه وخياله وصورته فتضيع عليهم الحياة بآمالها ، ويهلكوا فى أثر هذا الشعاع الكاذب ، أو سراب النور الخادع .

### تأثير الخطب الرنانة والكلام الطنان فى مصائب الشعوب

ونحن بلاريب فى جيل قحط وبؤس وجفاف ، وحطب يابس وجحود وكفر وضلال ، وهو جيل تسبقه وتلحقه وتحذوه وتعقبه الفتن والثورات التى تكون مملوءة بدلائل الاضمحلال والبلى والخراب ، وسقوط الدول فى مهاوى الاستبداد ، وتدهور الشعوب فى مغاور اليأس وكهوف القنوط . ولذا تراهم يتمسكون بأضعف المذاهب وأوهاها وأذلها وأقلها ، ويجرون وراء كل صاحب فداء الضعف فى الجيل وفى ضآلته ومرضه واعتلاله واختلاله واضمحلاله وانحلاله . هذا هو ما نراه سر الوثنية الانسانية التى أدت إلى عبادة بعض الأشخاص الذين



أَهْلَهُمُ الْجَهْلُ وَقِصْرُ النَّظَرِ ، فَأَفْرَطُوا فِي الْعَجَبِ وَالْإِنْدِهَاشِ مِنَ الشَّيْءِ أَوْ  
الشَّخْصِ حَتَّى يَصِيرُوا تَقْدِيسًا وَعِبَادَةً .

وَيَكُونُ اعْتِمَادُ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ الزَّعَمَاءِ وَالْأَبْطَالِ عَلَى الْخُطَابَةِ لِلتَّأْثِيرِ فِي أَذْهَانِ  
الْجُمَاهِيرِ ، الَّتِي يَسْتَعْوِيهَا زَخْرَفُ الْقَوْلِ وَتَسْتَهْوِيهَا عَذُوبَةُ الْأَلْفَاظِ وَتَغْرُرُ بِهَا  
الْوَعْدُ الْخَالِبَةُ . وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ الْجُمَاهِيرَ تَعِيشُ بِلا عَقْلٍ وَلَا تَفْكَيرٍ أَوْ أَنَّهَا  
لَا تَتَعَقَّلُ مَا تَسْمَعُ أَوْ لَا تَتَأَثَّرُ بِالْمَعْقُولِ ، لِأَنَّ الْمَشَاهِدَ عَكْسَ ذَلِكَ وَالْإِخْتِبَارَ  
دَلِيلٌ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ فِي طَرِيقَةِ التَّعَقُّلِ وَالْإِقْتِنَاعِ هُوَ أَنَّ طَبَقَةَ  
الْأَدَلَّةِ الَّتِي تَقِيمُهَا الْجَمَاعَاتُ تَأْيِيدًا لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ أَوْ الَّتِي تَوْثِّرُ عَلَيْهَا ، مَنْحُطَةٌ  
جَدًّا مِنَ الْجَهَةِ الْمُنَظِقِيَّةِ فَلَا يَصْدُقُ عَلَيْهَا اسْمُ الدَّلِيلِ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ . فَتَعَقَّلُ  
الْجَمَاعَةُ عِبَارَةً عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ أَشْيَاءٍ مُتَخَالِفَةٍ لَا رَابِطَةَ بَيْنَهَا إِلَّا فِي الظَّاهِرِ وَالْإِنْتِقَالِ  
الْفَجْأِيِّ مِنَ الْجُزْئِيِّ إِلَى الْكُلِيِّ وَمِنَ التَّخْصِصِ إِلَى التَّعْجِيمِ بِلَا تَرَوٍّ . وَالْأَدَلَّةُ الَّتِي  
يَقْدِمُهَا إِلَيْهَا أَوْلَئِكَ الزَّعَمَاءِ وَالْأَبْطَالِ الَّذِينَ عَرَفُوا كَيْفَ يَقُودُونَهَا كُلُّهَا مِنْ هَذَا  
الطَّرَازِ لِأَنَّهَا هِيَ الْأَدَلَّةُ الَّتِي تَوْثِّرُ فِيهَا بِخِلَافِ سُلْسَلَةٍ مِنَ الْأَدَلَّةِ الْمُنَظِقِيَّةِ  
فَأَنَّهَا لَا تَدْرِكُهَا .

وَكَثِيرًا مَا تَعْجَبُ أَيْهَا الْقَارِئُ عِنْدَ مِطَالَعَةِ بَعْضِ الْخُطَبِ ( الَّتِي تَسْبِقُ  
الْحُرُوبَ أَوْ الْحَرَكَاتَ الْقَوْمِيَّةَ فِي بَعْضِ الْمَمَالِكِ الْمَفْتُونَةِ بِعِبَادَةِ هَذَا الزَّعِيمِ أَوْ ذَاكَ )  
مِنَ التَّأْثِيرِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَحْدَثْتَهُ فِي سَامِعِيهَا عَلَى مَا بَهَا مِنَ الضَّعْفِ وَالرَّكَكَةِ  
وَذَلِكَ الْعَجَبُ مِنْكَ لِأَنَّكَ نَسِيتَ أَنَّ تِلْكَ الْخُطَبَ قَدْ وَضَعْتَ خَصِيصًا لَتَوْثِّرَ  
فِي الْجُمُوعِ الزَّاخِرَةِ وَالْجُمَاهِيرِ الْحَاشِدَةِ لِأَيِّقْرَافِ الْعُلَمَاءِ أَوْ أَهْلِ الْمُنْطَقِ وَهَكَذَا تَجِدُ  
الزَّعِيمَ الْخَبِيرَ بِأَحْوَالِ جَمَاعَتِهِ ، الْوَاقِفَ عَلَى بَوَاطِنِ أُمُورِهَا الْمَلْمُ بِنَفْسِيَّتِهَا ، يَعْرِفُ  
طَرِيقَةَ اسْتِحْضَارِ الصُّوَرِ الَّتِي تَجْذِبُهَا فَذَا نَجِيحٌ فَذَلِكَ غَايَةُ مَا أَرَادَ ، وَلَوْ أَنَّ



أكبر العلماء وأقدر الساسة ألف مئاة الخطب في عشرين مجلداً بعد ذلك ما كان لها من التأثير ما أحدثته تلك الكلمات التي دخلت في الرؤوس المراد اقناعها . ولسنا في حاجة الى القول بأن عدم قدرة الجماهير على التعقل الصحيح يذهب بمملكة النقد فتمسى غير قادرة على تمييز الخطأ من الصواب فلا تحكم حكماً صحيحاً في أمرٍ ما .

### عاقبة الظلم والتمرد على القريب والبعيد

يعد هذا القول منا بمثابة كشف القناع عن أسرار بعض المظاهر السياسية والاجتماعية التي نراها ونحار حيناً في تفسيرها وتعليلها . فلورأينا رجلاً واحداً يظهر فجأة لينادى بمبادئ تخالف ما كان يتبعه بالأمس وخلفه رجال يشدون أزره باسم الدولة والمجد ، ثم يقود قومه بمفرده إلى الهاوية ويدفعهم إلى الهلاك فرحاً مستبشراً وهم لا يترددون ولا يفكرون في مصيرهم ، وعماد هذا الرجل في تلك المجزرة البشرية والتردى في مهاوى الدمار خطبه التي يلقيها من على ظهر جواد أو على قمة جبل أو مرتكناً إلى دابة أو مدفع فاعلم إنه من هذا الطراز الذي سبق وصفه ، وأن ما سبق له من إصلاح أو خير في عمار دار أو ترميم جدار ، إنما كان نوعاً من استدراج الشيطان له ولقومه حتى يلقوا حتفهم ويقعوا في أحضان الفناء بمحض رغبتهم واختيارهم وإن هذا الاستدراج الشيطاني قد أصمَّ آذانهم وأعمى أعينهم وكف أبصارهم وطمس على قلوبهم فلم يسمعوا نصيحاً ولم يتبعوا هداية ، بل أن هذه القلوب نفسها لم تَلنْ أمام أنات الإنسانية المعذبة ، وتلك العقول التي كان دأبها الإدراك أو من طبيعة تركيبها ينبغي لها الإدراك قد فقدت أدوات التفكير وانقادت إقنياداً أعمى وهي تنادى من أعماق قلبها ليحيي الأمبراطور أو الزعيم أو الملك العظيم ! وما نداءها وهتافها وتحيتها إلا للشيطان



الرجيم الذى ملأ النفوس بالغرور ، وأذهب من ذوى العقول عقولهم ليعودوا  
سيرتهم الأولى من الانحدار والانحطاط والسقوط  
إذا قال زعيم صيني فى خطبة إننى أحارب لأعيد مجد منشو القديم وأجدد  
عظمة شنج لي — كنج وأبعث جلال فو — شو — لو من مرقدها ، فإن أهل  
بكين وشنجاهاى و كانتون و نانكين يصغون إليه فى خشوع وخضوع و يحملون  
السيوف والبنادق وراءه ليحاربوا ، ليفنوا ، ليجددوا المجد ! كذلك إذا نادى  
رومانى قديم بأنه يحارب لإعادة مجد رومة الدائر وإقامة حظها العاثر ، فالبسطاء  
من قومه يصدقونه و يسرون وراءه عملاً بقول نابوليون بونابرت فى مجلس  
شورى الحكومة :

« إننى أتممت حرب الفندائين لما انتحلت الكتلكة ، واستوليت على مصر  
إذ أسلمت ، وتوجت بالظفر فى حرب إيطاليا لأنى قلت بعصمة البابا ، ولو كنت  
أحكم شعباً يهودياً لأعدت بناء معبد سليمان <sup>(١)</sup> »

ونحن إن أنكرنا على بطل أو زعيم ذكاء العقل أو بعد النظر أو حب الخير  
أو العطف على قومه أو الثقل فى المبادئ أو قلب ظهر الجن لأصدقائه وسادته ،  
بالأمس فلا ننكر عيله المهارة والحدق فى معرفة كيفية التأثير فى خيال الجماهير .  
فقد أتقنه بالفطرة أو أنه كان قوة كامنة فى حنايا ضلوعه ، وفى أركان عقله الباطن ،  
حتى أظهرته الحوادث وقد ظهر لنا وللعالم أجمع أن التأثير فى خيال الجماعات كان همه  
الدائم فلم ينسه فى فجر حياته ولا فى ضحاها ، ولم يهمله فى مغامراته الأولى والأخيرة  
ولم يفرط فيه فى انتصاره وخذلانه لا فى أقواله وأفعاله ولا فى عمل من أعماله بل

(١) أخطأ الأستاذ أحمد حافظ عوض فى كتابه فتح مصر الحديث فى قوله إن نابوليون بونابرت



هو يفكر فيه ليل نهار وسوف يفكر فيه على سرير موته بعد عمر قصير أو طويل وأن هذه الخطب ، لتوهمن سامعها أن هذا النظام أو ذاك الذى ابتكره زعيم من الزعماء هو الذى جعل أمة من الأمم القديمة أو الحديثة سعيدة أو غنية ، وهذا خطأ من الاخطاء المعنوية التى تشبه خطأ البصر أو السمع الذى قد يؤدى الى سوء الاستنتاج فى المراتب والمسموعات . لأنه ثبت بالاختبار التاريخى أن التأثير الحقيقى فى حياة الشعوب لا يكون من طريق النظم أو تغييرها فلا يمكن أن يقال الجمهورية أفضل من الملكية أو الديكتاتورية أنفع من الديمقراطية فاذا نظرنا الى جمهورية الولايات المتحدة رأيناها ترفل فى حلل الرخاء وتخطر فى جلباب السعادة بفضل نظمها الديمقراطية ، حتى اذا رجعنا الى الجمهوريات الاسبانية الأمريكية (وهى التى تتمتع بنظام جمهورى كالولايات المتحدة) ألفيناها تتمثر فى أذيال التقهقر والفوضى ، وحكمنا بأنه لا دخل لتلك النظم فى سعادة الأولى ولا فى شقاء الثانية ، وبأن الذى يحكم الأمم إنما هو أخلاقها وكل نظام لا يندمج مع هذه الأخلاق ويمتزج بها تمام الامتزاج يكون أشبه بالثوب المستعار وهو ستار لا يدوم .

لقد قامت حروب دموية وهبت ثورات عنيفة وستقوم حروب وتهب ثورات وكان الغرض منها وسوف يكون إلزام الأمم بنظم يعتقد الناس أنها مجلبة السعادة وقد يقال إن النظم تؤثر فى نفوس الجماعات لأنها تفضى إلى مثل تلك الحروب والثورات والصحيح أن لا تأثير لها البتة لأننا قد عرفنا أنها لا قيمة لها فى ذاتها سواء أكانت الغلبة لها أم عليها وإنما الذى يؤثر فى الجماعات أوهام وألغاز وعلى الأخص الألغاز الخيالية . وقد تؤدى تلك الألغاز الخيالية القوية الى المطامع القومية والحروب الاستعمارية التى يصحبها اهراق الدماء



وخراب الممالك والتعدى على الشعوب الآمنة ، المطمئنة وتقويض أركان السلم  
في أنحاء العالم القريبة والبعيدة .

وقد كان لبعض رجال السياسة في أوروبا ولا سيما في الأمم اللاتينية أسوأ  
الأثر في حياة شعوبهم ومن هؤلاء الرجال جورج كلمنصو الذي كان يسمى بالنمر  
وسمى «أبا النصر» Père de la victoire ثم أهملته الأمة الفرنسية أعظم إهمال  
ونبذته لأنها قرنت اسمه بكل أهوال الحرب ومصائبها . كانت إشارة من هذا  
الرجل تكفي لقلب الوزارة ، وقد أوضح أحد الكتاب مقدار تأثير ذلك الوزير في  
الكلمات الآتية « إنا مدينون لموسيو فلان وحده بكوننا اشترينا التونكين بثلاثة  
أضعاف ما تساويه وبكوننا لم نضع في مدغشقر إلا قدماً مترعزة وبكوننا  
غلبنا في مملكة كاملة جنوب نهر النيجر وبكوننا أضعنا ما كان لنا من النفوذ  
الخاص في الديار المصرية ألا إن نظريات موسيو ( فلان ) قد كلفتنا من  
الخسائر أكثر من مصائب نابليون الأول ! »

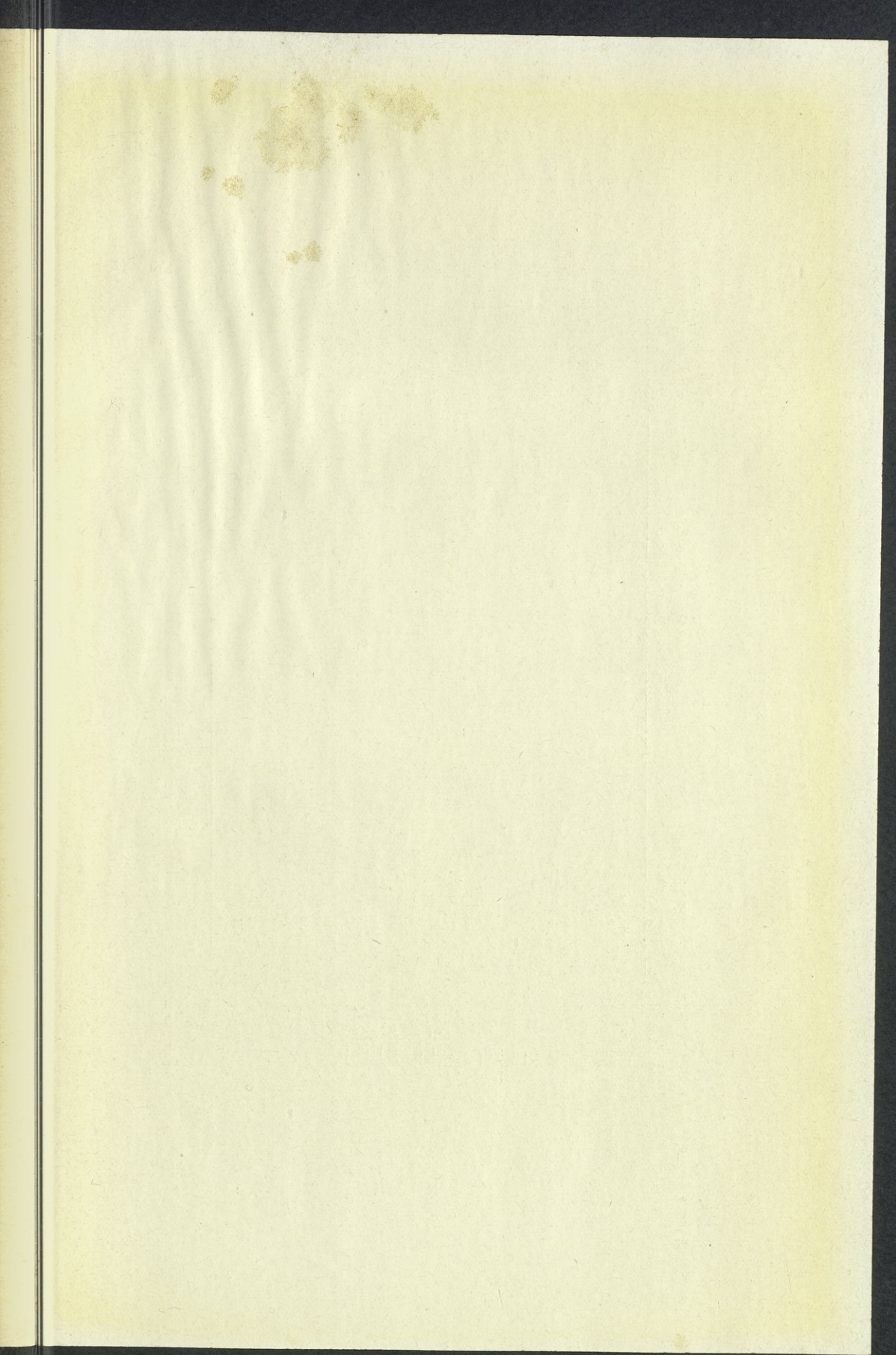
وهكذا كانت عاقبة پوانكاريه في فرنسا ، ولويد جورج في إنجلترا ،  
وودرو ويلسون في أمريكا ، وغليوم الثاني في ألمانيا ، ونابوليون الثالث في  
الإمبراطورية بعد حرب السبعين وكل هؤلاء كانوا من أكابر الزعماء والوزراء  
وبعضهم ملوك فما بالنا بمن هم أقل منهم بدرجات ومراحل أمثال سنيور بنيتو  
موسولينى واضرا به ؟ !





سنيور بنيتو موسولينى زعيم ايطاليا  
ومحرك الحرب الجبشية الايطالية







## ١٢ — إعراض إيطاليا عن نصيح الناصحين

وخسارتها الفادحة في المال والرجال في اريتريا

منذ استعمارها في سنة ١٨٨٨ إلى الآن

لا يعلم الا القليلون من الطليان وغيرهم قيمة ما تتكبده إيطاليا من الخسائر الفادحة من الرجال والمال منذ خمسين عاماً في أفريقيا الشرقية وقد قدره أحد الاحصائيين بأكثر من خمسين مليون جنيه من المال ومليونين من الرجال بين قتلى وجرحى وصرعى قضوا نحبتهم بالأمراض والأوبئة .

وإلى القارىء العربى بيان وجيز ، مع العلم بأن هذه الحرب الناشئة كلفتهم إلى الآن أكثر من ثلاثين مليون جنيه .

فى أواخر القرن التاسع عشر ، وبعد استيلاء فرنسا على تونس ببضع سنين نزلت حملة عسكرية قوامها عشرون ألف جندى بقيادة الجنرال سانمارزانو بمصوع<sup>(١)</sup> وكانت إيطاليا تعلم أن محاربة الحبشة ليست أمراً سهلاً ، ولا مأمون العواقب ، فرجت انجلترا فى الوساطة بينهما فنفذت بريطانيا رجاء إيطاليا ، ولكن الرأس يوحنا لم يقبل الصلح ولكنه أحجم عن مهاجمة الطليان وأعرض عن تحريض رأس الولا وتر بص مدة فى معسكره بلا حركة إلى الأمام أو إلى الوراء ، ثم انسحب إلى الداخل تاركاً الجيش الايطالى وشانه ، فخاف الجنرال سانمارزانو وقواده الأربعة چانه ولانزا وجانى وپالديسارا عاقبة اقتفاء أثر الأحباش ورجعوا بقسم من الجيش الايطالى الى إيطاليا وبقى القسم الآخر فى جوار مصوع .

(١) ٨ نوفمبر سنة ١٨٨٧



ولما تولى منليك الثانى ملك الحبشة بعد مصرع يوحنا فى القلابات (١٨٨٨ — ١٨٨٩) ثار عليه أهل مقاطعة تيغرى بحجة أحقية رأس منغاشا ابن يوحنا فى العرش الامبراطورى ، وكان هذا الرأس أميراً على المقاطعة المذكورة . فلما رأى منليك ذلك طلب إلى القائد الايطالى پالديسارا أن يحتل أسمرأ بجنوده الطليان ليتمكن منليك من ارغام التيغريين على الرجوع إلى طاعته .

ولما كان پالديسارا طموحاً فقد فتح مدينة كرين فى مقاطعة بوغوس وبلغ أسمرأ فى ٣ أغسطس سنة ١٨٨٩ . وفى ديسمبر من تلك السنة سافر پالديسارا إلى ايطاليا وحل محله الجنرال أورارو فتوغل فى البلاد .

وكان منليك استعداد قوته ونفوذه و « شم نفسه » فاحتج على أعمال القائد الايطالى . ولكن احتجاجه لم يثمر وعينت ايطاليا الجنرال جاندولفى والياً على اريتريا واعتبرتها مستعمرة ايطالية وما زالت تحارب الأمراء والرؤوس وتخضع الأهالى تارة وتماثلهم طوراً .

وقد اتخذ الطليان فى مستعمرة أرترية خطتين سياسيتين ، الأولى سياسة شوا ومنليك ، والثانية سياسة تغرى ورأس منغاشيا . فكانوا يبحثون عن الطرق والوسائل التى تعود عليهم بالمنفعة من التفريق بين هاتين المقاطعتين ، عاملين بمبدأ « فرق تسد » فكانوا إذا لايهم منليك انقضوا على منغاشيا ، وإذا مال إليهم منغاشيا انفضوا من حول منليك .

وكانت نتيجة تلك السياسة الايطالية معاهدات وحروب ، منها معاهدة مارب ، ومعاهدة أو كسيالى ، وموقعة حالايامع پاثا آغوس ، وفتنة اسماسق آبارا الذى أثبت أن التعلم فى مدارس الطليان والاصطباغ بصبغتهم لا يضعف القومية



ولا يوهن من حب الوطن ، بل قد يشعل نار الاخلاص للوطن في نفس الشجاع ، وواقعة قوايت ، ومعركة سه نافا ، واحتلال تيغرى ، وهزيمة أمبا الأغى وحصار مكللا ، وثورة عقامة ، وموقعة ليننا ، وحرب إله فا .

ولم ينتفع الطليان بعد هذه الجهود بشيء سوى إريتريا . وقد خسروا بسببها « الجلد والسقط » قال ماركيز دى رودينى الذى رأس حكومة إيطاليا مرات عدة لدى جورفيل مؤلف كتاب « مصر الحديثة » إننا نحن المجانين ( يقصد أمته وهو تأنيب الحب المشفق ) قد أنفقنا عشرين مليون جنيه فى غزو مستعمرتنا الصغيرة السيئة الحظ المسماة باريترى ، وهى تكلفنا منذ غزواناها فى كل عام ٢٨٠ ألف جنيه ، والله يعلم ان كانت ستدر علينا شيئاً من الخيرات أم تبقى عاقراً مجذبة لا خير منها<sup>(١)</sup>

لقد احتلت إيطاليا إريتريا فى سنة ١٨٨٨ فتكون نفقاتها على تلك المستعمرة الأفريقية كما يأتى :

| جنيه                     |            |
|--------------------------|------------|
| نفقات الغزو              | ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ |
| نفقات من ١٨٨٨ — ١٩٣٥     | ١٣,٠٠٠,٠٠٠ |
| ثلاثة وثلاثون مليون جنيه | ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ |

فى حين أنه لا يوجد باريترى من الطليان سوى ٣٥٠٠ مستعمر<sup>(٢)</sup> وهذا أحدث احصاء لسكان تلك المستعمرة من الطليان .

(١) ص ٢٦٧ كتاب مصر الحديثة

New Egypt — A.B. DE Guerville 1906

(٢) راجع مجلة L U الفرنسية فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥



### ١٣ - هل لايطاليا أمل في الفوز ؟

من أغرب أنواع التهويل ، وأوسع أبواب الارهاب ، التي لجأت اليها إيطاليا وولجتها «مزججة» الطائرات و«معجزة» الغارات والغازات . فتوعدت الأحباش ، بأسراب من عفاريت الجو تصب على رؤوسهم وأبدانهم صنوفاً من المتفجرات ، والمشتعلات ، والخانقات . . . بيد أن ثقة الحروب الحديثة في إيطاليا نفسها ، لا ينتظرون أن تجني جيوشهم فائدة كبيرة من تلك الأسراب الحلقية ، أو المعلقة ، لقلة الأهداف التي تتجه اليها . ولا جرم أن للطائرات أثراً نافعاً في استطلاع حركات العدو ولكن مدى طيرانها فوق جبال الحبشة محدود بما يمهدها من المطارات وهو من أشق الأمور على القيادة الإيطالية ، لوعورة المسالك ، وندرة الفسحة في الأرض الخنزرة للشروط المطلوبة ، وأكبر المناصرين لايطاليا لا يجزمون بما يعود عليها من الأجنحة الملتهبة أو المسمومة ، لأن الحكم على هذا النوع من آلات الحرب لا يزال مرهوناً باختبار سلاح الطيران الإيطالي في الحبشة . ففرح إيطاليا به والتنويه بنتائجه قبل التثبت من مقدماته سابق لأوانه ، إن إيطاليا وإن تكن من دول أوروبا الحديثة ، إلا أنها لم تحز قصب السبق في الحروب فما عهدها بالهزيمة في الحرب العظمى يبعيد ، كما أنها كانت ضعيفة النكاية أعداءها في طرابلس الغرب (ليبيا) فإن إخضاع تلك البلاد الأفريقية (وهي أقرب الى إيطاليا من الحبشة بعشرات المرات ، وليس فيها أكثر من ٢٠٠ ألف عربي قاموا بحرب العصابات) اقتضى من إيطاليا عشرين سنة ، مع أنها لجأت في محاربتهم الى وسائل تأبأها الانسانية وتحرمها القوانين الدولية<sup>(١)</sup> فما بالها بالحبشة على بعدها وقوتها ، واستعدادها وعدد سكانها ووفرة جيوشها وقيام

(١) لم ينس العالم مأساة عمر المختار ورفقائه !



العالم لنصرتها؟! لا شك في أن هذه الحالة ستضطر الحكومة الإيطالية لأن تنفق بدرات من الأموال ومهيج ألوف وألوف من الشبان والرجال وأن تقضى عمراً في الحرب والنضال ، وهيئات ثم هيئات أن تحقق ما تؤمل ، لأن دونه أهوالاً وشدائد تشيب منها الأطفال دونها هزيمة عدوة بمراحل .

وليست الحبشة قوماً واحداً ولا قبيلًا مفرداً بل خليط من شعوب وقبائل شديدة الشكيمة يجرى حب الاستقلال في دمائهم ويضيفون الى منعة معاقلم الجبلية الوعة كراهية للغرباء المعتدين لا حد لها ويشجعهم على الاستمرار فيها والاستزادة منها فتيانهم الذين رضعوا لبان العلم في أوروبا وأمريكا ومصر . ومن هذه الشعوب الأحرىون أو الأميريون الذين تكتب المعاهدات بلغتهم لأنها أرقى اللغات الحبشية والشوعيين وغيرهم

ومهما يكن عدد جيوش الطليان فان أفران الحبشة وخنادقها ، ومفاوزها ستندادى هل من مزيد ؟ لأن الجيش الأجنبي الزاحف ، ولا سيما من الشمال ، عليه أن يحصن القواعد التي يعتمد عليها في مواصلاته ، مع عاصمة اريتريا ومينائها ، وهما أسمرامصوع ، وعليه أن يبق فيها حاميات كبيرة ، فوق أنه محتاج الى إنشاء الطرق ثم تأمينها بعد إنشائها . ولا نظن أن موسوليني يخفى عليه أن كل تقدم من ناحية اريتريا محفوف بالخطر لأن فتح البلاد يقتضى احتلال المراكز العسكرية وتنظيم ادارتها وبقاء حاميات كبيرة فيها ، فضلاً عن أن الجيوش الإيطالية الجارة تحتاج الى مؤونة وذخيرة تكادان تعجزان أعظم الأمم وأغناها فهي مضطرة لاستيراد كل ما تحتاج اليه من الوطن الأقصى وهو عمل شاق كبير النفقات . ولا يمكنها التعويل على أرزاق الحبشة لأن حاصلاتها الزراعية لا تكاد تكفي الأحباش أنفسهم ، مع قلة ما يحتاجون إليه بالمعارضة الى ما تحتاج اليه الجيوش الأوربية المفطورة على الترف في بلاد أفريقية بعيدة وفي حالة حرب . . . مع أمة متوترة ومهاجمة في عرينها .



دع عنك مقاييس الحياة العادية بين الفريقين فإن الأحباش في وطنهم ، وهذا امتياز لا يستهان به ، وهم يفوقون خصومهم في ملاءمة حال البلاد لهم ، ففي وسع الحبشى أن يجتاز مسافات شاسعة مشياً على أقدامه الخافية<sup>(١)</sup> وهذا ما يعجز عنه أهل أوروبا عامة وأهل الجنس الأبيض خاصة . وروى لنا بعض كبار ضباط المصريين الذين عاشوا في الحبشة أن الحبشى يستطيع أن يطوى مسافة تتراوح بين ٢٥ و ٤٠ ميلاً في اليوم ويقضى في ذلك بضعة أيام متوالية دون أن يكل . فإذا ما ركبوا ، اعتلوا صهوات بغال أهلية خفيفة الحركة كثيرة الصبر قنوعة باليسير من الغذاء ، ويمكنهم أن ينقلوا على ظهورها المدافع الى قمم الجبال المنيعه ، فيعرقلون تقدم العدو باستعمالها من أعاليها . وغير خاف أن الرامى بالحجارة من أعلى جبل أقوى من المحارب فى السهل مهما كان سلاحه .

ولما كان الأحباش يحاربون وهم عصابات متفرقة خفيفة الحركة ، عارفة بالبلاد ، فإن الطليان مضطرون لجماعات كبيرة من جنودهم ، ليتغلبوا على تلك العصابات ، ولكن تلك العصابات لا تحارب لتهمز أمام القوات الغازية ولكنهم يستدرجونهم الى الأودية والخنادق الطبيعية ليمزقوا شملهم<sup>(٢)</sup>

قال سنيور موسولينى إنه حسب لكل شىء حسابه ، فهل حسب حساب شق الطرق و بناء الجسور ونقل المواد اللازمة لها من إيطاليا الى جنوب البحر الأحمر ومنه الى أسمرا ثم الى المناطق التى يحتلها الجيش الزاحف ؟ وهل حسب حساب السيول التى تجرف أثناء تدفقها الجسور والطرق والمستودعات ومواد البناء ؟ تكلمنا عن الارترية وما تكلفته إيطاليا فى سبيلها من القناطير المقنطرة من الذهب والجيوش المجهزة ، وأثبتنا أنها لم تعد على إيطاليا بطائل وليس لهذه

(١) لا يحتاج الجندى الحبشى الى حذاء وعلى الرغم من استمراره على المشى فان قدميه ناعمتان مسيحتان ( البكباشى أحمد لطفى بك الذى كان حاكم القلابات بعد استرداد السودان )  
(٢) Foreign Affairs Quarterly Review, October 1935.



المستعمرة قيمة سوى أنها تسيطر على منافذ التجارة الحبشية من الشمال وهي تجارة  
يسيرة، وأكبر الصعاب فيها تعرض أهلها لقلة الماء الناشئة عن ندرة الأمطار  
وقصر فصلها في كل عام، ولكنها تصلح قاعدة عسكرية، ولعل هذه الصلاحية هي  
التي أغرت الطليان بها فبدلوا ما بذلوا ظناً منهم أنها تسهل عليهم الاستيلاء على  
الحبشة، ولكن ما عرف عن الأحباش من حبههم للحرية وتمسكهم باستقلالهم يجعل  
كل طمع في التوسع متعذراً إن لم يكن مستحيلاً. فقد سلحت الطبيعة هذا  
الشعب النبيل بطبيعة البلاد الجغرافية والطوبوغرافية، فكانت تلك الطبيعة من  
أقوى الوسائل التي يعتمد عليها الأحباش في الدفاع عن الوطن وحريته وأن  
الصعوبات التي تنتاب الطليان من الجنوب لا تقل عن مهالك الشمال فإن الجيش  
الاطالي الذي يحاول التقدم من موغاديشيو في جنوب الصومال الايطالي الواقعة على  
مصب نهر وبي شبيلى لا بد أن يخترق منطقة جافة طولها ٢٠٠ ميل قبل أن  
يصل الى آبار وال وال و غرغوبى الواقعة في مقاطعة أوغادن وهي أصل النزاع  
بين الدولتين، ولا يشبه هذه المنطقة في الجفاف إلا صحراء الدناكل الواقعة بين  
الهضبة والبحر في الجنوب الشرقي من عدوه واكسوم وأديجرات.. وهذه المنطقة  
الصحراوية جافة جافية وبيئة واطئة ولم يفلح في اختراقها من رواد أوروبا إلا  
لدوفيج نسييت الذى لقي في سبيلها من المصاعب والمتاعب ما جعله يسميها  
« عقر الخليقة الجهنمي »<sup>(١)</sup>

أما الجبال الحبشية فكثيرة ومنها ما يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ قدم  
أو ١٥٠٠٠ قدم .

وإذن تكون الجيوش الايطالية معرضة لمخاطر الجبال وطول المسافات وقلة  
الماء وعقبات الخنادق الطبيعية التي خددها نهر التاكار وروافده، وكل هذه  
العقبات الكبرى تعرقل أى تقدم عسكري في الحبشة وراء عدوة .

Extremity infernale di mondo (١)



ويظهر للخبراء الحربيين الذين يرقبون الحالة في الميادين الحبشية أن الطليان يوجهون جيوشهم الى طريق ما كال ومجدلا . وقد تتهقروا أمام ما كال ووقفوا هجومهم<sup>(١)</sup> وهذه نفس الطريق التي سلكها لورد ناير أوف مجدلا سنة ١٨٦٨ ضد الامبراطور ثيودورس ( انظر ص ٢٣ من هذا الكتاب )

ولكن الأحباش لم تغب عن ذاكرتهم هذه الموقعة فاستعدوا لانتقاء ما ينسج على منوالها أو يقاس على غرارها ولا يلدغ الحبشى من جحر مرتين !  
وإذن لا منفذ للطليان في تلك الجبال والوهاد ، لأن قنن الجبال الشاخحة قد تصعد في الجو كمناطحات السحاب ، بل أنها لتخترق السحب وتعلو في الجو فوق مناكب الغيوم وتنخفض انخفاضاً مفاجئاً الى أودية سحيقة ذاهبة في جوف الأرض وليس بين هذا العلو الشامخ وذاك الهبوط السحيق سوى بضعة سهول مختنقة ، فكان هضبة الحبشة أضراس آلة جهنمية تسحق كل من يقع بين فكيفها !  
وكأن الطبيعة المشفقة على الحبشة من هجوم أخلاف الرومان المتحضرين ومعيدى مجد الامبراطورية ! فلم تكتف بتضريسهم بتلك الأنياب الصخرية ، فكست بعض وديانها بنوع من الأتربة الحمراء التي تبدو صلبة جافة حتى إذا ضغط عليها أقل ضغط ( وناهيك بأحذية الجنود ومجلات السيارات والدبابات والطائرات وحوافر الخيل ) تحولت فوراً دقيقاً متناهيماً في النعومة ، فإذا جادها الغيث ، ولو كان رذاذاً ، تحولت معجوناً زلقاً كالصابون فيعسر السير فيها حتى ولو كان مشياً على الأقدام ، فتضطر الجيوش الى الوقوف في أماكنها حتى تجمد أعين السماء وتشرق الشمس فتجف التربة بجماداتها ، وإذا ما غيرت الجيوش الايطالية خطتها وحاولت احتلال جبال تانا الشرقية والشالية فانها تعرض مؤخرتها لهجرم العصابات لأن تلك المنطقة الوعرة لا تزال في أيدي عصابات لا تعرف للراحة طعماً ولا تسكت على تغفل الحار بين الغرباء في مواطنها

(١) بدأوه في ٢٨ أكتوبر ووقفوه مرتين الاخيرة منهما في ١١/٥/١٩٣٥



## ١٤ - النتيجة

لقد ثبت لدى العالم ، أن إيطاليا الأوربية المسيحية المتحضرة معتدية ، وأن الحبشة الإفريقية المسيحية الإسلامية ، التي تكاد تكون فطرية ، معتدى عليها . وأعلنت خمسون دولة من دول العالم مناصرتها للحبشة بالحق ، لرفع الظلم عنها ولكنها لم تتمكن من منع الحرب بالقوة ، فهذه قرارات تلك الدول الحسنيين ممثلة في عصبة الأمم تصدر ، والمدافع تدوى ، والطائرات تصب جامات نيرانها على الأمة المسكينة المظلومة ، والدبابات تسحق أبدان أهلها وتهلك حرثها وزرعها ونسلها ! ولكن الحبشة على الرغم من ضعفها واستكانتها قد جردت من هذا الضعف وتلك الاستكانة قوة لم تستطع إيطاليا أن تستهين بها بل أقرت في مواطن شتى بشأنها وبطشها . والعالم ينظر وينتظر ، والإنسانية تتوجع وتتفجع ، والحضارة والسلم تندبان حظهما لأن الإنسانية مقبلة على مأساة ، لعلها لم تشهد مثلاً حتى ولا في الحرب الكبرى . وإن مصر الجارة والصديقة بل القرينة بحكم الجوار والاشتراك في القارة والماء لتبذل أقصى جهودها لنصرة الأمة المظلومة ولم تقصر في تطبيق العقوبات الاقتصادية التي فرضتها عصبة الأمم ، دون أن تتمتع بالمزايا التي يتمتع بها أعضاء تلك العصبة ، فكانت أكثر من الدول الحسنيين حباً للسلم ومدافعة عنه ، لأنهم اشتركوا في تقرير العقوبات ، أما هي فلم تشارك في التقرير وانفردت بالتطبيق وهي خارج العصبة ، وسوف تتحمل في هذه السبيل خسائر جمة وهي عالمة بها وراضية . ولعمري إن موقف مصر في الوقت الحاضر ليعيد إلى الذهن موقف بلجيكا في سنة ١٩١٤ . فلم تكن بلجيكا من أعداء ألمانيا ، ولكنها وقفت في طريقها لتحمي فرنسا أو مبادئها فاكستحتها ألمانيا اكتساحاً وكادت تمحوها من الوجود . وها هي مصر قد تضافرت الظروف على وضعها في هذا الموضع وها هي تتعاون



مع بريطانيا العظمى في الدفاع عن مصالح الامبراطورية البريطانية وسلامة أملاكها في آسيا وأفريقيا، ويجيء الدفاع عن مصالح مصر عرضاً، وقد امتدت يد إنجلترا إلى الاسكندرية لتجعلها قاعدة بحرية لأنها أسلم عاقبة وأنسب وأحصن من مالطة . وإنجلترا لا تريد أن تفاتها مصر الآن في طلب تكون عليه صبغة التهديد، ولكن السياسة الحكيمة والنظر البعيد يحثان على الدولة الصديقة أن تمد يدها لتتعم تصريح ٢٨ فبراير، في رفق وصدقة دون إرهاب أو إرهاب لتشعر مصر ذات الاستقلال والسيادة برجولتها وصدقتها ونخوتها وثمرتها انضمامها إلى الأمم المتحضرة في محاربة الظلم والوقوف في وجه المعتدين وجعل عصبة الأمم أداة صالحة لتسوية النزاع بين الأمم كما يسوى كل نزاع بين الأفراد في المحاكم . فهل لإنجلترا أن تطرد من مخيلتها فكرة خاطئة وهي أن مصر تهددها، أو تريد أن تنهز فرصة غير ملائمة وهي انشغال إنجلترا في البر والبحر والجو لتطلب منها مطالب لم تكن لتتقدم بها لو كان السلام سائداً؟ إن مصر تريد السلم والصدقة ولا تريد الحرب والفتنة والعداء، ولئن كانت بريطانيا العظمى بادئة بمد هذه اليد فهو أعظم، فإن لبت نداء مصر وأصغت إلى صوتها بدون غضب ولا سخط ولا شماتة لخصوم الطرفين، الذين لا يلبثون أن يظهروا في الميدان كما تظهر الخفافيش في الظلام فخير لنا . إن سياسة بريطانيا كما دلت عليها جهود سير صمويل هور ومستر أنتوني إيدن في جنيف سياسة حكمة وتدبر وإنصاف وقد بح صوتهما على منابر العصبة في الدفاع عن حقوق الضعفاء ونصرة المظلومين، فهل لبريطانيا وشعب بريطانيا أن يصغوا أيضاً إلى صوت مصر وقد بادرت إلى تنفيذ العقوبات وشكرتها عصبة الأمم شكراً رسمياً<sup>(١)</sup> وقد ضخت مصر بما تستطيع بذله من مال ومعونة في الأرض والبحر والهواء . وسوف تضحي بأكثر من ذلك

(١) تلغراف رئيس عصبة الأمم إلى وزير خارجية مصر في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥



إن مصر لا تريد أن تنتهز فرصة سالحة إذا كان في انتهاز هذه الفرصة ما يغضب أصدقاءها ، ولكن العدل والحق والعرف وحسن الذوق (وقد اشتهرت انجلترا بكل هذه) تقضى جميعها أن يقدر هؤلاء الأصدقاء هذا « الموقف المضرى المشرف » . وفى الحق أن عملاً كهذا الذى تؤمله من جانب انجلترا يعلى شأنها فى العالم كله ويكون بمثابة ضمان للسلم والطمأنينة وله قيمته فى السياسة الدولية وفى التاريخ الإنسانى . ان مصر لا تريد أن تبرق أو ترعد ، ولكنها تريد إقرار الحق ووضع الأمور فى مواضعها فى هدوء وسكينة ولا لوم عليها ما دامت أمم العالم وفى مقدمتها بريطانيا العظمى تريد أن تضع الندى فى موضع السيف ، وأن ترفع صوت الحق فوق صوت المدافع ، وتعالى « همسة العدالة » على أزيز الطائرات . وفى نظرنا أن مصر التى تريد أن تتحد لتقابل الحوادث بصدر رحب ووجه سمح وفم باسم ، سوف تكون فى صداقتها أنفع وأجدى وأعلى وأعلى وأرفع منها غاضبة أو مكشرة عن أنيابها ، وقد عرفت قيمة الصبر على الشدائد ، وحاشا أن تتقدم مصر فى « موقفها المشرف » بغضب أو فتنة أو تحاول الظهور بغير مظهر الود والمحبة . وأن مصر قد عرفت بالتجربة والاختبار أن ميدان السلم أوسع من ميدان الحرب وأفسح . وانجلترا علمت العالم أن الأكاليل التى تنال بعد النصر الأدبى أسمى وأشرف وأثمن مما ينال بالنصر الحربى وانجلترا تعلم أن هذه الرغبة تتردى فى نفوس المصريين جميعاً لا يشذ منهم حاكم ولا محكوم . ومصر تنتظر بفارغ الصبر أن تسمع كلمة بريطانيا ، لا فى إذلالها وإخضاعها ولكن لمناصرتها والأخذ بيدها ، ومصر لا تطلب هذا خوفاً ولا جبناً ، ولكنها تطلبه نتيجة للتعقل والتبصر . لقد قيل إن صدقاً وإن كذباً إن انجلترا تعتبر انتهاز هذه الفرصة فاجعة عظيمة ، ولكن هذا يصح إن كانت مصر تبطن غير ما تظهر ، والحقيقة أن مصر مخلصه



في حسن نيتها ، طاهرة اليد والذيل من الغدر وتبليت الشر ، بعيدة البعد كله عن إرادة سوء ، وما على بريطانيا إلا أن تبر بعهدا وتنفى بوعدها الشريف وتتم تصريح ٢٨ نوفمبر راغبة مختارة ، لا مرهقة ولا مرغمة ، وحينئذ تعز انجلترا بعملها وبحليقتها القديمة الحديثة ، وصديقتها الخالصة مصر !

ليس لمصر مطالب بالمعنى الذى يسبق إلى الذهن السياسى ولكنها تريد متممات لحمايتها الدولية . تلك المتممات التى توثق علاقتها بالدول وتقوى ما بينها وبين بريطانيا من الروابط ، دون أن تمس مصالح الامبراطورية بسوء ، ومصر تعلم حق العلم أنها لا تستطيع ذلك وهى لا ترغب فيه .

وقد رأت بريطانيا ورأت مصر أن هذه المملكة الوسط بين القارات الثلاث لا بد أن تكون ميداناً ذا شأن فى كل حرب تقع بين دول أوربا وقد قال عنها بونابرت « مصر أهم مملكة فى العالم » لهذا السبب ولما كان سلطان القانون الدولى أخذاً فى النمو والتجلى فمصر تود أن تتقى أخطار المستقبل بانضمامها إلى عصبة الأمم . هذه رغبة الأمة المصرية قد أفرغناها فى أصدق قالب وشرحناها بأوجز أسلوب وقديماً قالوا خير القول ما قل ودل ، وخير البر عاجله . وحديثاً قالوا إن سوء التفاهم وخيم العواقب لأنه مجلبة لسوء الظن ، لقد كان المعروف وصنع الجميل منجاة لصاحبهما بين الأفراد ، وهى انجلترا تود أن تجعل المعروف وصنع الجميل قانوناً عملياً بين الأمم ، تريد بريطانيا أن تعمد سيفها لتعمل بالحسنى فهل تقصر الحسنى على من تشاء ، وتسلم السيف فى وجه من يخطب ودها ويرعى عهودها ويناصرها فى أخرج الأوقات ؟

الكلمة الآن لبريطانيا العظمى !!



## ملحقات الكتاب

- (١) الآيات القرآنية التي لها علاقة بالملك سليمان وبلقيس ملكة سبأ .
- (٢) نص المادة ١٥ من ميثاق عصبة الأمم .
- (٣) جهاد هنرى باربوس فى سبيل الحبشة قبيل وفاته .
- (٤) مراجع الكتاب .
- (٥) بيان الأبواب والفصول .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### من سورة النمل

- (١) وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟
- (٢) لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين !
- (٣) فكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين
- (٤) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم
- (٥) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون !
- (٦) ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ؟
- (٧) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم !
- (٨) قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . . .
- (٩) اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون !
- (١٠) قالت يا أيها الملؤ إني ألقى إلى كتاب كريم !
- (١١) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم !
- (١٢) ألا تعلوا على وأتوني مسلمين !
- (١٣) قالت يا أيها الملؤ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون
- (١٤) قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين
- (١٥) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . . .
- (١٦) وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون !



## ٢ - نص المادة ١٥ من ميثاق عصبة الأمم

تنص المادة ١٥ من ميثاق عصبة الأمم التي دار بحث مجلس عصبة الأمم حولها في اجتماعاته الأخيرة ، في الفقرة الأولى على أنه إذا ما قام خلاف بين اثنين من أعضاء عصبة الأمم وكان من المحتمل أن ينشأ عنه قطع العلاقات بينهما وكان هذا النزاع مما لا يخضع لاجراءات التحكيم أو أى تسوية قضائية مما تنص عليه المادة ١٣ من الميثاق يتفق أعضاء العصبة على رفع النزاع الى مجلس العصبة ويكفي لهذه الغاية أن يخطر أى الطرفين بهذا النزاع سكرتير العصبة العام الذى يتخذ كل الترتيبات اللازمة لعمل تحقيق كامل .

وتنص الفقرة الثانية على أنه يجب على طرفى النزاع أن يبلغا السكرتير العام فى أقرب أجل ممكن وجهة نظرها مؤيدة بالمستندات وللمجلس العصبة أن يأمر بنشرها توا .

وتقول الفقرة الثالثة : يعمل مجلس العصبة للوصول الى تسوية فاذا نجح ينشر على الشكل الذى يراه مناسباً ملخصاً للوقائع ومغزاها ونص التسوية .

وتقول الفقرة الرابعة : فاذا لم تنجح مساعى التوفيق ينشر المجلس تقريراً وافق عليه الأعضاء بالاجماع أو بغالبية الأصوات لتعرف ظروف النزاع والتسوية التى يوصى بها المجلس والتى يراها أعدل وأكثر ملاءمة فى الموضوع .

وتقول الفقرة الخامسة : لكل عضو من أعضاء العصبة الممثلين فى المجلس أن ينشر ملخصاً لوقائع النزاع ورأيه فيه .



وتنص الفقرة السادسة على أنه إذا ما وافق المجلس على التقرير بالاجماع مع استبعاد أصوات طرفي النزاع ، يتعهد أعضاء العصبة بأن لا يلجأوا إلى الحرب ضد أى طرف يتنزل على نصوص الاتفاق .

وتنص الفقرة السابعة على أنه إذا ما عجز المجلس عن الحصول على موافقة أعضائه من غير طرفي النزاع فان أعضاء العصبة يحتفظون بحقهم في التصرف طبقاً لما يرونه ضرورياً لصيانة الحق والعدل .

وتقول الفقرة الثامنة : اذا ما ادعى أحد طرفي النزاع أن هذا النزاع تبادل مسألة ينص القانون الدولي على أنها من اختصاص هذا الطرف المطلق وأقر مجلس العصبة هذا الطرف على رأيه ، يسجل المجلس هذه الحقيقة في تقرير لا يضمنه أى توصية بمحل .

وتقول الفقرة التاسعة : لمجلس العصبة في كل الأحوال الواردة في هذه المادة أن يحيل النزاع على الجمعية العمومية لعصبة الأمم كما أن لكل من طرفي النزاع أن يرفعه إلى الجمعية العمومية فتصبح مختصة في البت فيه . على أنه يجب أن يقدم هذا الطلب في ظرف اسبوعين من تاريخ عرض النزاع على مجلس العصبة .

وتقول الفقرة العاشرة : في كل القضايا التي ترفع للجمعية العمومية لعصبة الأمم تطبق نص المادة ١٢ من الميثاق ونص هذه المادة « وتسرى كل الاجراءات التي تتبع أمام مجلس العصبة ومن المسلم به أن لكل تقرير تضعه الجمعية العمومية بموافقة ممثلي الدول المشتركة في عصبة الأمم الممثلة في المجلس ، كل النتائج والآثار التي تكون لتقرير يصادق عليه مجلس العصبة باجماع آراء أعضائه مع استبعاد طرفي النزاع » .



## جهاد هنرى باربوس لنصرة الحق

فى سبيل الحبشة قبل وفاته

لا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر بطلاً مجاهداً وهادياً انسانياً جليلاً وهو  
المأسوف عليه هنرى باربوس الكاتب الفرنسى العظيم الذى قضى نجمه فى سبتمبر  
من هذا العام وهو يلهج بذكر الحبشة وضرورة مناصرتها والدود عنها فكان له  
الفضل الأول فى لفت أنظار العالم وعصبة الأمم الى المشكلة الحبشية وقد قدم  
بنفسه للعصبة عريضة شرح فيها وجهة نظره ونظر أصحابه وأتباعه . وقد قدم هذه  
العريضة إلى العصبة بنفسه فى مايو سنة ١٩٣٥ قبل وفاته بثلاثة أشهر بوصفه  
مندوب اللجنة العالمية لمكافحة الحرب والفاشيزم ونشرها قبل اجتماع العصبة  
فى ٤ سبتمبر . وقد جاء فى هذه العريضة أن استقلال الحبشة فى خطر من دولة  
أوروبية قوية ، لم تتورع عن مهاجمة شعب ضعيف مع أن كليهما عضو فى عصبة  
الأمم ، ولكن هذا الشعب الضعيف يضحي بوجوده فى سبيل حريته ، واستقلاله  
المضمون بمعاهدتى ١٩٠٦ و ١٩١٥ وبدخوله فى عصبة الأمم فى ٢٨ سبتمبر  
سنة ١٩٢٣ وقد قدمت الحبشة الدليل على حبها للسلم فى التقرير الذى كتبه  
الكولونيل كليفوردا وأعضاء اللجنة البريطانية لتعيين الحدود المؤرخ ٢٠ مارس  
سنة ١٩٣٥ إلى العصبة التى قالت فيها إنها لا تملك قوة حرية تعادل قوة جارتها  
القوية فتلجأ للعصبة لتحمى حريتها وأرضها وانها تخشى عواقب الاستعداد الحربى  
الايطالى القائم على قدم وساق . وقد طلب هنرى باربوس أن تفحص العصبة



النزاع في صراحة وعلنية في جلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٣٥ وان تكلف إيطاليا سحب جنودها من موضع الخلاف وإن تقرر تسوية المسألة بالمودة والسلامة وأن ينشر قلم كتاب العصبة كل ما دار من المحادثات والمراسلات بخصوصها .

وكان آخر أعمال باربوس دعوته لمؤتمر دولي غايته حماية نصوص القانون الدولي ونظمه وحماية الشعب الحبشي والدفاع عن السلم العام في أنحاء العالم .

---

تمَّ بعون الله وحسن توفيقه





## مراجع هذا الكتاب

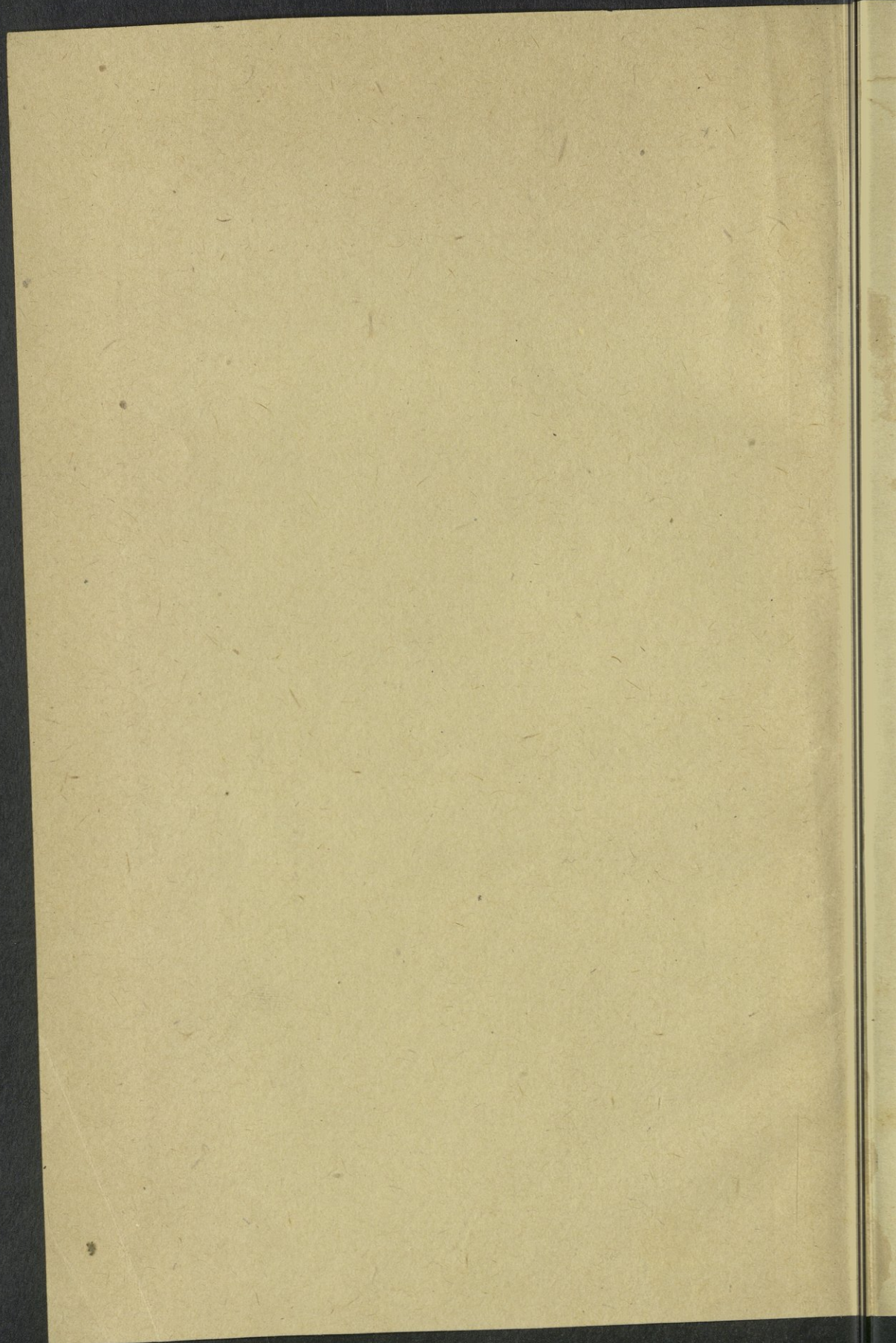
- ١ — سياحة جيرفيه كورتلمون . . . . . C. Courtellemont
- ٢ — مع غوردون في السودان . . . . . W. S. Blunt
- ٣ — تاريخ الاستعمار الأوروبي . . . . . P. Dubois
- ٤ — مركز مصر السولى . . . . . J. Cocherie
- ٥ — أعلام المقتطف لفؤاد صروف .
- ٦ — السيرة النبوية لابن هشام ومرغليوث والدكتور هيكل .
- ٧ — الأغاني للأصهاني .
- ٨ — تاريخ عمرو بن العاص للاستاذ حسن إبراهيم .
- ٩ — تاريخ اسماعيل باشا للايوبى .
- ١٠ — دائرة المعارف البريطانية .
- ١١ — تاريخ العالم لفريق من العلماء باشراف ج . هـ . ولز .
- ١٢ — مصر المسلمة والحبشة المسيحية تأليف كولونيل داي الأمريكى .
- ١٣ — مصر الحديثة تأليف دى جورفيل ، نسخة إنجليزية .
- ١٤ — عصبة الأمم ومحاكم العدل للاستاذة J. Scelle و Morellet .
- ١٥ — الانتقام لمدام جوليت آدم .
- ١٦ — انحلال الدولة الرومانية وسقوطها لجيبون .
- ١٧ — واجبات الانسان لجوزيبى مزينى .
- ١٨ — رحلة شفيق باشا المؤيد إلى الحبشة فى سنة ١٨٩٦ .
- ١٩ — مجلة Europe وكورتلى رفيو ومجلة مر كوردى فرانس وجريدة Monde وجريدة Lu وتاريخ حياة هنرى باربوس والطان وجورنالى دى إيطاليا وغيرها .
- ٢٠ — عصبة الأمم ل Openheim .



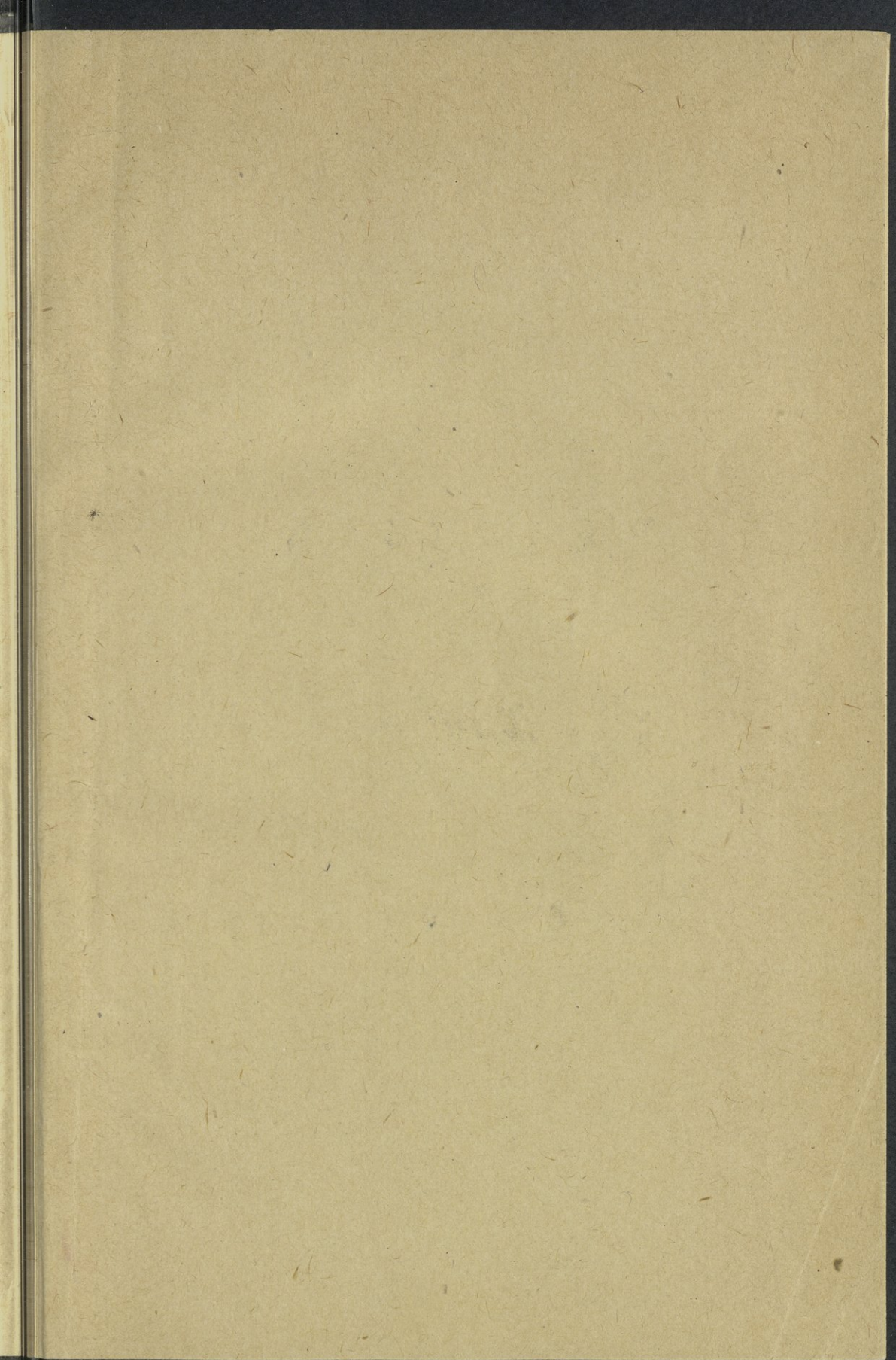
## بيان الفصول والأبواب

| الموضوع                                    | الصفحة |
|--------------------------------------------|--------|
| المقدمة                                    | ٣      |
| علاقة الحبشة بمصر والاسلام قديماً وحديثاً  | ٣      |
| طموح مصر الى فتوح أفريقيا                  | ١٩     |
| الاسم والمعتقد والأخلاق والأصول الأولى     | ٢٨     |
| علاقة مصر بالحبشة وإيطاليا                 | ٣٤     |
| عصبة الأمم والمشكلة الحبشية                | ٣٦     |
| تطور الغارات على الأمم                     | ٦١     |
| الوجه الأخير للاستعمار                     | ٦٩     |
| ثلاثة رجال وثلاث دول                       | ٧٣     |
| من موقعة قرع الى موقعة عدوه                | ٨٤     |
| النظام الفاشي ومشكلة الحبشة                | ٩٠     |
| الزعامة الحديثة وانقياد الامم              | ٩٥     |
| اعراض إيطاليا عن نصح الناصحين              | ١٠٩    |
| هل لايطاليا أمل في الفوز ؟                 | ١١٢    |
| النتيجة                                    | ١١٨    |
| ملحقات الكتاب                              | ١٢١    |
| الآيات القرآنية عن سليمان وبلقيس           | ١٢٢    |
| نص المادة ١٥ من عهد عصبة الأمم             | ١٢٣    |
| جهاد هنرى باربوس في سبيل الحبشة قبيل وفاته | ١٢٥    |
| مراجع هذا الكتاب                           | ١٢٧    |
| بيان الفصول والأبواب                       | ١٢٨    |









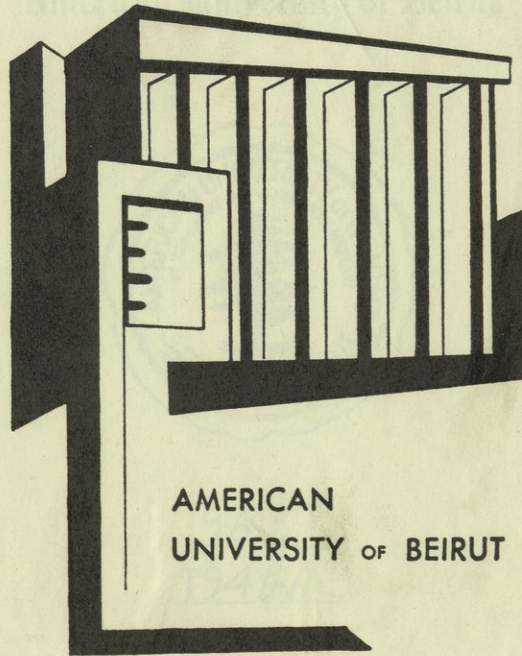


جمعة، محمد لطفى  
بين الاسد الافريقى والنمر الايطالى. ب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01060890



AMERICAN  
UNIVERSITY OF BEIRUT



963056  
J94A